أثر ناظر الدولة السياسي على الوزارة في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م

دكتور

عبد الرحمن عبد الحميد عبد العزيز حماد

مدرس التاريخ الإسلامي

بكلية اللغة العربية بالقاهرة

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد ،،

فإنه على الرغم من أن دولة المماليك تُعَدُ استمراراً للدولة الأيوبية في نُظُمها ورسومها، إلا أن المماليك ابتكروا من الوظائف ما يواكب عصرهم ، ويخدم العمل الإداري في الدواوين ، وكان من بين تلك الوظائف التي استحدثها المماليك وظيفة "ناظر الدولة" فقد استحدثت[1] في سنة٧٠٦هـ /١٣٠٦م، وكانت المهام المنوطه بناظر الدولة أنه يتولى رئاسة "ديوان النظر" ويعاونه بعض الموظفين من أجل مراقبة حسابات الدولة والإشراف على إيراداتها ومصروفاتها ، هذا إلى جانب اختصاص "ناظر الدولة" بالتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه من أمور الدولة، ويشاركه في الكتابة والتوقيع تبعاً له ، وإذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة من وزير يقوم ناظر الدولة بمهامه، ونظراً لقرب "ناظر الدولة" من الوزير ومشاركته في أعماله، كانت هذه الوظيفة إحدى درجات السلم الوظيفي لمنصب الوزارة، وبمرور الوقت ازدادت أهمية

---

(١) المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، قام بنشره / محمد مصطفي زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٠م ، ق ١ج٢ ص٢٧ ح٤.

وظيفة "النِّظارة" [1] وشهدت المصادر بما بلغه صاحبها من مكانه كبيرة في الدولة .

وفي كثير من الأوقات كان "ناظر الدولة"، يرفض تولى الوزارة رغم تقدمها في الرتبة على "النِّظارة"، وذلك لتراجع مكانة الوزير وتقلص صلاحياته في العصر المملوكي ، فقد قُسِّمت مهام الوزارة بين أربعة من كبار رجال الدولة كان من بينهم "ناظر الدولة" ونظراً لأنه المختص بالجانب المالي في الوزارة ، فقد قوى جانبه ، وبسط نفوذه على حساب الوزير ، مما كان له أبلغ الأثر على تردى أحوال الوزارة وتقلص صلاحيات الوزير، ومن هنا كان اختيار الباحث لدراسة هذا الموضوع تحت عنوان:

"أثر ناظر الدولة السياسى على الوزارة في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م"

وقد تضمن هذا الموضوع ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول : بعنوان "التعريف بناظر الدولة في العصر المملوكي" وقد تعرضت الدراسة فيه للتعريف "بديوان

---

(١) كان من بين المصطلحات التي أطلقت على "ناظر الدولة" في العصر المملوكي مصطلح "النظارة" وقد تطور هذا الاصطلاح ليصبح في العصر العثماني منسوباً إلى "نظارة" بمعنى وزارة، وكان للدولة العثمانية وفق هذا المصطلح عدة "نظارات" أى وزارات . مصطفي عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ــ مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٤٩-٥٠ .

النظر" من حيث نشأته ومهامه، وأهم الشروط التي يجب توافرها فيمن يشغل هذه الوظيفة .

– أما المبحث الثاني : فجاء بعنوان " ناظر الدولة أحد عوامل انهيار الوزارة" وقد وصَّفت الدراسة أسباب تدهور الوزارة في العصر المملوكي ، وكيف أنها جاءت نتيجة سلسلة من العوامل المتتابعة التي قصد منها اضعاف سلطة الوزير ، حتى غدت الوزارة "مرؤوسة ناقصة" (١).

– وجاء المبحث الثالث: تحت عنوان " ناظر الدولة والوزير في العصر المملوكي" ، وقد تضمن هذا المبحث الحديث عن نفوذ "ناظر الدولة" وكيف أنه تمكن من بسط نفوذه وتوسيع سلطاته على حساب الوزير ، مما أثر بالسلب على الوزارة وتردى مكانه الوزير .

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) : مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم د/ محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان ، سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص٢٢٧ .

منهج البحث :

أولاً : سارت الدراسة في هذا البحث وفق المنهج التاريخي القائم على الاستشهاد بالنصوص التاريخية وتحليلها مع مراعاة إسقاطها على أحداث الدراسة.

ثانياً : الترجمة للأعلام والمدن والمصطلحات الواردة في البحث لأول مرة ، ويكتفي بالإشارة إلى ترجمتها السابقة عند ورودها مرة أخرى.

ثالثاً : مقارنة التواريخ الهجرية بالميلادية ، فوضعت التاريخ الهجري أولاً ثم ما يوافقه بالتاريخ الميلادي.

رابعاً : اتبعت الترتيب الزمني والتدرج التاريخي :لنُظَّار الدولة" وفقاً للأحداث وتدرجاً مع عصر الدراسة.

خامساً : هذه الدراسة تعنى بأثر "ناظر الدولة" على الوزارة ، لذلك فقد اقتصرت على النماذج ذات التأثير على الوزارة ، دون التعرُّض بالسَّرد لجميع نظار الدولة ــ وسوف يفرد الباحث ملحقاً بجميع نظار الدولة وترتيبهم الزمني في آخر البحث ــ فقد شغل بعضهم "النِّظارة" لعدة أيام أو أشهر قلائل ، أما النماذج التي مكثت لفترات طويلة وظهر أثرها بين الوظائف الديوانية وبخاصة الوزارة فقد تعرضت لها الدراسة بالتفصيل .

وختاماً: فإني أتقدم بالشكر الجزيل لكل من مدَّ لي يد العون لإخـــراج هذا البحث ، وأدعو الله ــ ــتعالى ــ أن أكون قد وفقـــت فيـــه ، فهـــي محاولة متواضعة لكشف اللثام عن جانب من جوانـــب تاريخنـــا التليـــد وحضارتنا العريقة ، فما كان توفيق فمن الله وحده ،وما كان مـــن خطـــأ فأستغفر الله منه، وحسبي اخلاص النية لله فهو حسبي ونعم الوكيل .

دكتور / عبد الرحمن عبد الحميد عبد العزيز حماد

المبحث الأول : التعريف بناظر الدولة [1] في العصر المملوكي

- لقد أدى تغيير النظام المالي من النقدي في الدولة الأيوبية إلي الإقطاعي في عصر المماليك [1] إلى إضعاف أهمية

---

(١) ورد في معجم اللغة العربية ــ مادة نظر ــ تقول : نظرت كذا ، أي رأيته بالعين ، ومنه قوله تعالى "ولا ينظر إليهم يوم القيامة ....." سورة آل عمران : من الآية ٧٧ــ أي لا يرحمهم ، وتقول العرب : نظرت لك أي عطفت عليك بما عندي ، ورجل نظور : لا يغفل عن النظر إلى ما أهمه ، وناظر العين : النقطه السوداء الصافية التى في وسط العين ، وبهايرى الناظر ما يرى ، والنظر : الفكر في الشئ والناظر : من ينظر في الأمور فيمضى ما يمضى ويرد الباقى ، وهو مأخوذ إما من النظر الذي هو رأي العين ، لأنه يدير نظره في أمور ما ينظرها ، وإما من النظر الذي هو بمعنى الفكر ، لأنه يفكر في المصلحة من ذلك ، ثم هو يختلف باختلاف ما يضاف إليه ، فهناك : ناظر الدولة وله التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير ويشاركه الكتابه في كل ما يكتب فيه تبعاً له ، وهناك أيضاُ ناظر الخاص، ويتحدث فيما هو خاص بمال السلطان وناظر الجيش .... وغيرها ، والناظر هو المسئول الأول في الديوان ، ويرجع إليه جميع الموظفين (الفراهيدى : الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى في سنة ١٧٠- هـ/٧٨٦م) : كتاب العين تحقيق د/ عبد الحميد هنداوى ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ج٢ص٢٣٧ مادة (نظر) ، ابن منظور(جمال الدين محمد بن مكرم المصري المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب ، طبعة دار المعارف القاهرة ــ ط ت بدون ، ج٦ ص ص ٤٤٦٥-٤٤٦٨، مادة (نظر) ، محمد قنديل البقلي : مصطلحات صبح الأعشى ، طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامه للكتاب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة ــ سنة ٢٠٠٤م ، ص٣٤١.

بيت المال في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ثم زواله وتلاشيه في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ويبرهن على ما سبق قول المقريزي :"نظر بيت المال كانت وظيفة جليلة معتبرة وموضوع متوليها التحدث في حمول المملكة مصراً وشاماً إلى بيت المال بقلعه الجبل ، ... ثم تلاشى المال وبيت المال ، وذهب الاسم والمسمىَّ ، ولا يعرف اليوم موضوع بيت المال من القلعة ولا يُدرى مَنْ ناظر بيت المال من الناس [٢] .

- وبعد ما ضعفت أهمية بيت المال استُحدث ديوان جديد منذ أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ليحل محله ، واختص بالنظر في جميع شئون الدولة المالية من إيرادات ومصروفات عرف باسم "ديوان النظر" وهو أرفع دواوين المال ــ يشبه وزارة المالية اليوم ــ حيث تثبت فيه التواقيع والمراسيم السلطانية ، وترجع إليه سائر الدواوين في

---

(١) ابن المقفع : (ساويرس بن المقفع المتوفى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م): تاريخ مصر "من خلال مخطوطة تاريخ البطارقة" تحقيق / عبد العزيز جمال الدين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة ــ سنة ٢٠١٢م ج٥ ص٦٦٥.

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار "المعروف بالخطط المقريزيه" ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه الدكتور /أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ــ لندن ــ سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ج٣ ص٧٢٧ .

كل ما يتعلق بالأمور الخاصه بالمتحصل والمنصرف من أمـــوال الدولة[١].

– وكان إلى جانب اختـــصاص "ديـــوان النظـــر" بمراقبـــة حسابات الدولة والإشراف على إيراداتها ومـــصروفاتها، أيـــضاً كان له القيام بصرف مرتبات الموظفين في الدولة ، وكان جانب من هذه المرتبات "الأرزاق" يصرف نقداً، بينما صـــرف الجانـــب الأخر منها عيناً، وفيما يختص بالجانب العيني فمنها مـــا كـــان يصرف يومياً مثل : اللحوم والخبز، بينما كان الـــسكر والزيـــت والشمع يصرف شهرياً، أما الكسوة فكانت توزع سنوياً[٢] ، وقد عبر المقريزى عن هذا بقوله : " .... وإليه ــ ديون النظـــر ــ يرجع أمر الإستيمار الـــذي يـــشتمل علـــى أرزاق ذوى الأقـــلام وغيرهم مياومة ومشاهرة ومسانهة من الرّواتب [٣]".

---

(١) ابن العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله العمري المتوفى ســـنة ٧٤٩هـــ/١٣٤٨م : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "دولة المماليك الأولى"، دراسة وتحقيق/ دورتياكرا فولسكي، نشر المركز الإسلامي للبحوث ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـــ/ ١٩٨٦م ص ١١٤، المقريـــزي : الخطـــط المقريزية ، ج٣ص٧٢٥، د/على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليـــك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٤م ص ٢٨٨.

(٢) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥م، ص ص ٣٦٤-٣٦٥

(٣) الخطط المقريزية ، ج٣ ص٧٢٥ .

– وكان يتولى رئاسة "ديوان النظر" كبار الموظفين في الدولة من المعممين الذين يتمتعون بالمهارة في الأعمال الكتابية والخبرة بفن الإدارة المالية، وقد أطلق على رئيس هذا الديوان العديد من المسميات التي تدل على أنه من أهم الوظائف في الدولة، فقد عرف باسم "ناظر الدولة" و "ناظر المال" وناظر النظار " و "ناظر الدواوين" و "الصاحب الشريف" والناظر الدولة التحدُّث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه الكتابة والتوقيع في كل ما يكتب ويوقع الوزير فيه تبعاً له ويقوم مقامه إذا غاب [1].

– ومما يدل على علو شأن "ناظر الدولة" أن ابن العمري عندما ذكر الوظائف العليا في الدولة قال " .... إن جميع الوظائف التي في حضرة السلطان لا نذكر منهما إلا أعيانها .... فالوظائف الكبار من ذوى الأقلام : الوزارة ... ونظراً لأموال .... [2] "، وذكر القلقشندى أن :"لوظيفة الوزارة أتباع كثيرة

---

(١) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، قدم له د/ فوزي محمد أمين ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ــ سنة ٢٠٠٤م ، ج٤ ص٢٩ ، د/على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص٢٨٩، محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكى ، دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ص١٥٠ .

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ص١١٤.

أجلها نظر الدولة .... [1] "، أما المقريزى فقد ذكر مكانة ناظر الدولة ومهامه في حضرة الوزير وأثناء غيابه أو خلو منصب الوزارة من وزير فقال : "... ناظر الدولة تلي رتبته رُتبة الوزارة، فإذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة من وزير ، قام ناظر الدولة بتدبر الدولة [2] ".

– ولما كان "ديوان النظر" من أهم الدواوين في الدولة من حيث مراقبة حسابات الدولة والإشراف على إيراداتها ومصروفاتها ، وترجع إليه سائر فروع الدواوين المالية ، كان لا بد أن يكون مع"ناظر الدولة" من يعاونه في ضبط الأمور المالية ، ويأتي على رأس معاوني ناظر الدولة " مستوفي الصحبة[3]" فهو بمثابة وكيل ناظر الدولة ، ويتحدث في سائر أمور المملكة في مصر والشام ، ويكتب مراسيم يُعلَّم عليها السلطان بما يعمل في البلاد تارة وباستخدام بعض الكُتَّاب في

---

(١) صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، ج٤ ص٢٩.

(٢) الخطط المقريزية ، ج٣ ص٧٢٥ .

(٣) مستوفي الصحبة : موظف كبير بمثابة وكيل ديوان النظر ، ومهمته إعداد المراسيم الخاصة بتنظيم شئون الدولة المالية في مصر والنيابات التابعة لها ، ويساعده في عمله موظف آخر يعرف باسم " مستوفي الدولة" بمثابة وكيل " ناظر الصحبة" ومعه عدد كبير من الموظفين في الديوان ."ابن العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ــ القاهرة ــ سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م ، ص١١٥، القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ ص٢٩، د/ على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ص٢٨٩ .

صغار الأعمال تارة أخرى ، ويساعد "مستوفي الصحبة" عدد من المستوفين لضبط كليات المملكة وجزئياتها، هذا والكلمة النافذة في ديوان النظر لرئيس الديوان " ناظر الدولة" أو وكيله "مستوفي الصحبة" أما بقية المستوفين فكل منهم حديثه مقيد لا يتعدى قطراً من أقطار المملكة [١] .

وترجع أهمية وظيفة "ناظر الدولة" إلى أنها تؤهل صاحبها لشغل منصب الوزارة إذا خلا من وزير، وذلك بحكم قربه من الوزير ومشاركته له في جميع أعمال الوزارة ، بالإضافة إلى خبرته بالإدارة المالية التي تجعل له مكانه لدى السلطان عن غيره ، وقد بلغ "ناظر الدولة" المكانة العليا في الدولة المملوكية ، وشهدت المصادر [٢] التاريخية بما بلغه بعضهم من المكانة الرفيعة في الدولة، فقد استغل بعضهم مكانته وكلمته النافذة في فرض الضرائب الجديدة لجمع أكبر قدر من المال لصالح الدولة أولاً حتى يرضى عنه السلطان وكبار أمراء المماليك ولتكوين ثروات شخصية من ناحية أخرى ، ونتيجة لذلك لاقى

---

(١) المقريزي : الخطط المقريزية ، ج٣ ص٧٢٥ .

(٢) مثل : ناظر الدولة تاج الدين بن سعيد الدولة المتوفى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م ، وكريم الدين عبد الكريم بن السديد المصري المتوفى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م ، وناظر الدولة قاسم شغيتة المتوفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م ، (المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ق١ج٢ص٢٣، ٨١ ، ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق / محمد مصطفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة سنة ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ، ج ٢ ص٤٣٦، ج٣ ص٢٣).

الكثير ممن شغل وظيفة "ناظر الدولة" الكثير من المتاعب كالعزل والمصادرة والعقوبة الشديدة التي أودت بحياة بعضهم [١] .

لكن وظيفة "ناظر الدولة" انحط شأنها أواخر عصر المماليك وضعف قدر متوليها حتى وليها العوام من الناس ، ففي سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٣م وليها المعلم شمس الدين محمد البباوي (توفي سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، وهو أُمَّي لا يحسن القراءة والكتابة ، وترك زى السوقة ولبس زى المباشرين والكُتَاب [٢]، وذكر صاحب كتاب "إنباء الهصر بأنباء العصر" أنه في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م ولى "ناظر الدولة" شخصي عامي لحام ــ جزار ــ وهو صهر البباوي السابق [٣]،وهذا يدل على انحطاط قدر هذه الوظيفة في الآونة الأخيرة من عصر المماليك بعدما كانت من أرفع الوظائف الديوانية شأناً في أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، ولعل هذا يرجع إلى كثرة المصادرات والعقوبات التي كانت تنال "ناظر الدولة" عند عزله، وكذلك مصادرة

---

(١) حسن أحمد عبد الجليل : المعممون ودورهم في مصر عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) رسالة ماجستير منحت من كلية دار العلوم ــ قسم التاريخ الإسلامي ــ جامعة القاهرة سنة ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م ، المكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ٦٨٣١، ص٤٢.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص ص ٤١٠-٤١٥ ، حسن أحمد عبد الجليل : المعممون ودورهم في مصر عصر سلاطين المماليك ، ص٤٢.

(٣) الصيرفي (على بن داود الجوهري الصيرفي المتوفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤) : إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق د/ حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة سنة ٢٠٠٢م ، ص٦ .

ورثته عند وفاته ، وذلك لكونه هو المسئول عن جميع فروع الإدارة المالية في الدولة ، ومن ثم أعرض العلماء وأصحاب الخبرة بالإدارة المالية عن هذه الوظيفة التي يمتد أذاها إلى متوليها وذويه وأقاربه، لذلك أتيحت الفرصة أمام كتَّاب الأسالمة [1] والعوام لشغل هذه الوظيفة ، فتردى شأن "ناظر الدولة" منذ منتصف القرن التاسع الهجري لعدم توافر الخبرة بالإدارة المالية لدى الكثيرين منهم ، لذلك تعسف هؤلاء مع الرعية عن طريق فرض مزيد من الضرائب لسد النفقات الخاصة بالأمراء والدواوين [2] ، فوقع السخط علي من شغل وظيفة "ناظر الدولة" من الرعية للجور الواقع عليهم من ناحية، كما كانت تمتد إليهم العقوبة بسرعة من السلطان وكبار الأمراء من ناحية أخرى ، لذلك انحط شأن هذه الوظيفة في الآونة الأخيرة لعصر المماليك ، ولم تعد في مصاف الوظائف الكبرى كما كانت في السابق .

---

(١) الأسالمة : جمع ، مفرده : أسلمي ، ويقصد به من دخل الإسلام حديثاً من أهل الديانات الأخرى ، يقال : أسلم الرجل أى أنقاد ودخل في دين الإسلام ، والمُسَالَمة : الموادعه وترك الحرب ، ومنه قوله تعالى :"ياأيها الين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ..." سورة البقرة من الآية ٢٠٨-(الفراهيدي : كتاب العين، ج٢ ص٢٧٠ مادة : سلم) ، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى في مصر والشام ، ص ٤١٢).

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص٤٣٦ ، ج٣ ص٢٣ .

المبحث الثاني

ناظر الدولة أحد عوامل انهيار الوزارة

كانت الوزارة [1] في عصور الإسلام الأولى من أجل الوظائف

(١) الوزارة : مأخوذة إما من المؤازرة وهى المعاونة ، أو من الوزر: وهو الثقل لأنه يتحمل عن الملك أثقاله ، وقيل : إنها مأخوذة من الوَزَر وهو الملجأ ، ومنه قوله تعلى : "كلا لا وَزَر" ــ سورة القيامة : أية١١- وكانت كلمة وزير معروفة للعرب قبل مجئ الإسلام ، قال تعالى : "واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي" ــ سورة طه : الآيتان ٢٩، ٣٠ ــ ولعظمة الوزارة في صدر الإسلام لم تكن إلا للخلفاء دون أمراء البلاد وكان كل من أعان الخلفاء يقال له : فلان وزير فلان، ولم تكن للوزارة رتبة في العصر الأموي ، وأول من لُقّب بالوزير في الإسلام أبو سلمه حفص بن سليمان بن الخلال ، وزير أبى العباس أول خلفاء العباسيين، وكان يسمى قبل ذلك كاتباً أو مشيراً ، ولم تعرف الوزارة في مصر قبل عهد الإخشيديين (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٤-٩٦٨م)، حيث وليها الوزير جعفر بن الفرات ــ المتوفى سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠١م ــ الذي قدم إلى مصر في سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م متولياً كشف أعمال الإخشيديين في مصر للخليفة الراضي بالله العباسي ٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣-٩٤٠م ، وحدثت مصاهرة بينه وبين محمد بن طفج الإخشيدي ، ثم ولي الوزارة لبنى الإخشيد وأستاذهم كافور أكثر من عشرين سنة (٣٣٠-٣٥٨هـ /٩٦٨م) ، ثم كانت الوزارة في العصر الفاطمي الأول (٣٥٨-٤٦٥هـ/٩٦٨-١٠٧٧م) وزارة تنفيذ لقوة سلطان الخلفاء، أما في العصر الفاطمي الثاني (٤٦٥-٥٦٧هـ/١٠٧٧-١١٧١م) فقد غدت الوزارة "وزارة تفويض" حيث تمتع الوزراء بسلطة مطلقة هؤلاء الوزراء من كبار الأمراء من ناحية ، ولضعف سلطة الخليفة الفاطمي من ناحية أخرى.(الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م : كتاب الوزراء والكُتَّاب ، تحقيق / مصطفي السقا، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، قدم له د/ عطية أحمد القوصي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة ــ سنة ٢٠٠٤م ، ص ص ٨٩-٩٠، ابن خلكان شمس الدين أحمد بن خلكان المتفوى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق/ محمد محيى

وأرفعها رتبة فقد كان الوزير هو المتصرف في أمور الدولة، لذا يقول ابن خلدون:"الوزارة هي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة..... إذ هو يقتضى مباشرة السلطان دائماً ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه [١]". ويقول المقريزي عن عظمة الوزارة : "وكانت وظيفة الوزارة أجل رتب أرباب الأقلام، لأن متوليها ثاني السلطان إذا أُنصف وعُرف حقه ..... [٢]".

لكن الوزارة قصد اضعافها منذ العصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) ، فبعد أن كان الوزير يلي السلطان في الرتبة عمل سلاطين الأيوبيين على الحد من نفوذ الوزراء باستحداث وظيفة "نيابة السلطنة [٣] وتقديمها على الوزارة، فأصبح النائب يلي

الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ج ١ ص٣٠٥ ؛ د/ على إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية ، ص٢٨٩.

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ،ص٢٥٢.

(٢) الخطط المقريزية ، ج٣ ص٧٢٢.

(٣) نائب السلطنة : ويُعبَّر عنه "بالنائب الكافل" ، ويحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويُعلِّم في التقاليد والتواقيع والمناشير مما يُعلّم فيه السلطان ، ويكاتبه نواب الممالك فيما تكاتب فيه السلطان ولنائب السلطنة استخدام الجند من غير مشاورة السلطان ويعيَّن أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السرَّ وقل ألا يجاب فيما يعينه ، ومقره دار النيابة بالقلعة، وإذا خرج نزل الجميع في خدمته ، إذ هو السلطان الثاني .(ابن العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٦٥،ص٩٢؛ القلقشندى : صحيح الأعشى ، ج٤ ص ١٦-١٧، محمد قنديل البقلى : مصطلحات الأعشى ، ص ص ٣٤٥-٣٤٦) .

السلطان في المرتبة ويتمتع بكل ما كان يتمتع به الوزير من قبل ، ورغم أن الوزير غدا الرجل الثالث في الدولة عصر الأيوبيين ، إلا أن سلطاته لم تضعف إلى حد كبير ، ويؤكد هذا ما شهدت به المصادر التاريخية القديمة من النفوذ الكبير الذي تمتع به وزراء الأيوبيين ، فهذا القاضي الفاضل [1] عبد الرحيم البيساني وزير صلاح الدين الأيوبي يقول عنه ابن خلكان: "وكان ــ القاضي الفاضل ــ صديق صلاح الدين عضده ووزيره وصاحب ديوان إنشائه ومشيره ... [2] ، بل إن صلاح الدين اعترف بفضل وزيره القاضي الفاضل على سائر رجال دولته ، فقال لأمرائه بعدما قضى على خصومه في الداخل وانتصر على الصليبيين في

---

(١) هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى الشافعي ، ولد بعسقلان في سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٤، برع في الكتابة الديوانية وصناعة الترسل، شغل منصب الوزارة في عهد صلاح الدين ، وخدم مَنْ جاء بعده حتى توفي سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م . (الذهبي : شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء ، تحقيق د/ بشار عواد معروف ، د/ محيى هلال السرجاني ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت الطبعة السابعة سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ج٢١ ص٣٣٨، ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار صادر بيروت ــ ج ٤ ص٢٦٣.

(٢) وفيات الأعيان ، ج٣ ص٩٤ .

كثير من المعارك : لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل [1].

ولم يكن القاضي الفاضل وزير صلاح الدين حالة منفردة في التمتع بنفوذ كبير في الوزارة عصر الأيوبيين ، بل ذكرت المصادر تمتع مَنْ جاء بعده من وزراء الأيوبيين بكلمة نافذة، فنجد الوزير صفي الدين عبد الله [2] بن شكر وزير الملك العادل أبي بكر الأيوبي في مصر

---

(١) النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ج٢٩ص ١٨؛ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، تحقيق د/أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث ــ القاهرة ــ الطبعة الخامسة سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ج١٣ ص٣١ ؛ بامخرمة (أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م) : قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق / عبد الرحمن محمد جيلان ، نشر وزارة الثقافة والسياحة ــ صنعاء ــ سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ج٢ ص ص ٢٥٦٤-٢٥٦٥ .

(٢) هو صفي الدين عبد الله بن على المالكي المعروف بابن شكر ، ولد في صفر سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وتفقه وحدَّث وساد، وكان وزيراً مهيباً مع التواضع للعلماء ، توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م . (أبو شامه :عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المتوفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م): الذيل على الروضتين ، عنى بنشرة / السيد عزت العطار ، دار الجيل ــ بيروت ــ بدون ــ ص١٤٧، ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم المتوفى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق د/جمال الدين الشيال ، د/حسنين محمد ربيع ، راجعه د/سعيد عاشور ، دار القلم ــ القاهرة ــ بدون ، ج٣ ص١٣٠) .

(٥٩٦هـ/١١٩٩م-٦١٥هـ/١٢١٨م) حظي بمكانة كبيرة ونفوذ واسع لدي الملك العادل ، فاستوزره وقدَّمه ، ولم يعترض عليه رغم مباشرته الوزارة بجبروت لكونه خليقاً بالوزارة [١] ، كما أن الملك الأفضل على بن صلاح الدين الأيوبي صاحب دمشق (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م - ٥٩٢هـ١١٩٥م) قلدَّ وزارته لضياء الدين نصر الله [٢] بن الأثير فردَّ أمور الناس إليه، وصار يعتمد عليه في جميع أموره ، وقرّبه إليه ، وأقصى مَنْ سواه [٣]" ، وهذه الشواهد تدل على أنه رغم استحداث منصب النيابة في العصر الأيوبي لتأخير الوزارة التي هي :"أجل الوظائف وأرفعها رتبة في الحقيقة لو لم تخرج عن موضوعها ... [٤] " ،غير أن كثيراً من وزراء الأيوبيين تمتعوا بنفوذ واسع وكلمة نافذة ، فلم تتأثر الوزارة كثيراً بالهدف الذي من أجله استحدثت النيابة وهو تأخير الوزارة في العصر الأيوبي.

---

(١) أبو شامه : الذيل على الروضتين ، ص ١١٤، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ص١١، ١٣٠.

(٢) هو ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، ولد في شعبان سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م بجزيرة ابن عمر، ثم انتقل إلى الموصل واشتغل بالعلم فحفظ القرآن والكثير من الأحاديث النبوية، وله مصنفات تدل على غزارة علمه منها : "المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر" وغيره ، توفي ببغداد في ربيع الآخر سنة ٦٣٩هـ/١٢٣٩م. (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥ ص٢٥؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ص٧٢).

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٣ ص ص١٠-١١.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص ص ٢٨-٢٩.

أما عن الوزارة في عصر المماليك فقد تضاءلت عما كانت عليه من قبل ، وذلك لطبيعة سلاطين المماليك الاستبدادية ، ولتطلعهم إلى تركيز السلطة في أيديهم ، فلم يَعُدْ الوزير تمتد يده إلي شيء من الولاية والعزل أو التصرّف في شئون الدولة إلا بما يسمح له السلطان ، ولذلك عبرَّ ابن السبكي عن الوزارة في عصره بقولة :"الوزير : هو اليوم اسم لمن ينظر في المكوس[١] وغيرها من الأموال التي ترفع إلى السلطان وبيت المال .. [٢]" أما ابن خلدون فقد عَبرَّ عن انحطاط الوزارة في عصر المماليك بقوله :"فصارت مرؤوسة ناقصة.. [٣] "، ولم يخرج القلقشندى عن أقوال السابقين في الوزارة إذ يقول : "... صار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدي الحديث فيه ، ولا يتسع له في التصرف مجال ، ولا تمتد يده في الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجزئيات الأحوال [٤] "، فأقوال المؤرخين السابقين تدل على أن الوزير

---

(١) المكوس : جمع المكس ، وهى ضريبة تفرض على الإنتاج وعلى السلع الواردة والصادرة في الموانى ، وكان السلطان يأخذ العُشر في الأسواق .(محمد قنديل القبلي : مصطلحات صبح الأعشى ، ص٣٢٥؛ مصطفي عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات ، ص٤٠٦) .

(٢) ابن السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي السبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم ، قدَّم له وشرحه وأعد فهارسه الدكتور / صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ــ ص٣١.

(٣) المقدمة ، ص٢٢٧.

(٤) صبح الأعشى ، ج٤ ص٢٨.

تقلصت صلاحياته في عصر المماليك بحيث لم يتعد سوى تنفيذ تعليمات السلطان ونائبه والإشراف على شئون الدولة المالية بالاشتراك مع "ناظر الدولة" [١].

ولقد برزت شخصية "ناظر الدولة" كشريك للوزير في أعمال الوزارة منذ أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وقد ذكر القلقشندى مهام "ناظر الدولة" مع الوزير فقال : "ثم لوظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجلها نظر الدولة ... وهو المعبرَّ عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالصحبة الشريفة ، فموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه في الكتابة قي كل ما يكتب فيه ، ويوقِّع فيه الوزير تبعاً له ، وإن كان الوزير صاحب سيف ــ من الأمراء ــ كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات ــ الأموال ــ وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ ... وإن كان الوزير صاحب قلم ــ من العلماء ــ فهو المستقل بمباشرة الوظيفة نظراً وتنفيذاً ومحاسبة على الأموال[٢] .

ويشير نص القلقشندى السابق إلى ضعف الوزارة في عصر المماليك نظراً لاشتراك "ناظر الدولة" مع الوزير في جميع أعمال الوزارة ، ومما يدل على تناقص أهمية الوزارة في عصر المماليك أنها كانت

---

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى في مصر والشام ، ص ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) صبح الأعشى ، ج٣ ص٢٩

تلغي في كثير من الأحيان أو تظل شاغرة دون أن يحدث خلل في الجهاز الإداري للدولة، وذلك لقيام "ناظر الدولة" بمهام الوزير ، ففي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م أبطل الناصر محمد[١] بن قلاوون الوزارة ، ورغم أن الناصر أعادها في العام التالي ٧١٤هـ/١٣١٤م إلا أنها عادت واهية فاقدة الصلاحيات فقد اقتصر دور الوزير على التحدّث في الأموال فقط ، لذلك لم يجد الناصر محمد جدوى لوجود منصب الوزارة فأمر بإلغائها في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م وحتى وفاته سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م معتمداً

(١) هو السلطان الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحى ، ولد في صفر سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥ثم ولى السلطنة بعد أخيه الأشرف خليل في سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م لكنه خُلع من السلطنة على يد نائبه زيد الدين كتبغا ، ثم عاد للسلطنة للمرة الثانية في سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م لكنه لم يلبث أن خلع نفسه في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م نظراً لتحكم نائبة سلاَّر والأمير بيبرس الجاشنكير ، لكنه عندما عاد للسلطنة للمرة الثالثه في سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م قبض على زمام الأمور حتى وفاته سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م.(ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ ص٢٠٧؛ المقريزي : المقفى الكبير ، تحقيق / محمد اليعلاوى دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٧ ص١٦٢؛ ابن حجر (تقي الدين أحمد بن على العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق / محمد سيد جاد الحق ، طبعة دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ، ج٤ ص٧٠-٧٢

طوال هذه المدة على "ناظر الخاص[1]" و"ناظر الدولة" في تسيير دولاب العمل الخاص بالإدارة المالية فى الدولة [2].

وعلى الرغم من عودة الوزارة في سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م إلا أنها لم تلبث أن ألغيت للمرة الثالثة في سنة ٧٧٦هـ /١٣٧٤م ثم أُعيدت واهية ضعيفة، وقد زاد من ضعفها تمزيقها وتوزيع مهام الوزير على ثلاثة من كبار موظفي الدولة أولهم : ناظر الدولة ، واختص بتحصيل الأموال وصرف النفقات، وثانيهما : ناظر الخاص ، وقد عهد إليه بتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين ، أما الثالث : فهو كاتب السرِّ [3] ، واختص بالتوقيع فيما كان يوقِّع فيه الوزير مشاورة واستقلالاً ، ولم

---

(١) ناظر الخاص : وظيفة كبيرة في العصر المملوكي ، منوط بصاحبها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ، وقد صار كالوزير لقربة من السلطان .(القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص٣٠).

(٢)القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص٢٨، د/ على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص٢٨٩ ؛ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى ، ص ٣٦٨.

(٣) كاتب السِّر : والعامة تقول كاتم السِّر لأنه يكتم سر الملك ، ويجلس علي يسار السلطان بدار العدل ، ويقرأ الرسائل بين يدي السلطان ، ويتلقى أخبار المُلْكْ ويعرضها على السلطان ، ويتولى الرد عليها ولا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص٣٠ ؛ محمد قنديل البقلي : مصطلحات صبح الأعشى ، ص٢٨٢).

يبق للوزير غير شيء يسير من نظر النواحي ، والتحدُّث في المكوس وبعض الدواوين ومصاريف المطبخ السلطاني [1].

وكانت المرحلة الأسوأ في تردي الوزارة بسبب "ناظر الدولة" أن وصل عدد كبير من العوام والسوقة إلى منصب "ناظر الدولة" ثم إلى "الوزارة " عن طريق بذل الأموال[2] ، وقد أصبح ذلك واضحاً جلياً في عهد الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون (٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م)، فقد أنشأ ديواناً للبذل ــ أي البراطيل ــ وعرف ذلك في سائر أرجاء الدولة ، وصار مَنْ له حاجة في شغل إحدي الوظائف

---

(١) القلقشندى : صحيح الأعشى ، ج٤ ص ٢٨-٢٩؛ المقريزي : الخطط المقريزية ، ج٣ ص٧٢٤؛ د/ أحمد عبد الرزاق أحمد : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك "دراسة عن الرشوة" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٩م ، ص٧٢ .

(٢) لم تكن عملية بذل الأموال لتولى الوظائف من مستحدثات عصر المماليك ، بل ذكر ابن تغرى بردي أن البرطلة كانت موجودة منذ القرن الثالث الهجري ، وعندما تحدث ابن مماتي عن ولاية الدواوين في عصره ، ذكر أنها لا تخلو من ثلاثة أوجه : إما أن يكون قد وليها بالكفاءة ، وإما ببذل : كأن يقول إذا استخدمت في تولي الديوان الفلاني زدت في ارتفاعه من مائة ألف دينار إلي مائة وعشرين ألفا ، وإما بضمان : أي يضمن طالب الوظيفة ما قد يتأخر من مال عن بعض الجهات ويلتزم القيام به . (ابن مماتي الأسعد بن المهذب بن أبى مليح المتوفى سنة ٦٠٦هـ /١٢٠٩م : كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق / عزيز سوريال عطية ، الطبعة الأولي سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م ، مكتبة مدبولى ــ القاهرة ــ ص ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج١١ ص ٢٩٢).

يأتي إلى مقر الديوان المذكور ويبذل الأموال فيما يرغب من الوظائف ، فوصل بطريقة البذل إلى سائر وظائف الدولة ــ ومن بينها ناظر الدولة ــ من هم ليسوا بأكفاء [١] .

وفي أواخر دولة المماليك البحرية وتحديداً في سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م كان المتحكم في أمور الدولة الأميرين برقوق [٢] العثماني وبركة [٣].

ففتحا باب الرشّوة في تولى الوظائف ، فسعى الكثير من العوام إلى بذل الأموال من أجل ولاية الوظائف في الدولة ، يقول بن إياس :"وصار

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ، ج٣٢ ص٢٠٥، ج٣٣ ص ص٥٦-٥٨ ؛ المقريزي : السلوك ج٢ق٣ ص٦٨٧.

(٢) هو الأمير برقوق بن أنس العثماني الجركسي ، كان من كبار الأمراء في أواخر عصر المماليك البحرية ، ثم ولي السلطنة في سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالظاهر ، وهو مؤسس دولة الجراكسة في مصر ، توفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. (ابن حجر: انباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق د/ حسن حبشي ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، ج١ ص ص ٦٦-٦٩؛ السخاوى شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢هـ /١٤٩٦م: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ، ج٣ ص ص ١٠-١٢) .

(٣) هو الأمير زين الدين بركه بن عبد الله اليلبغاوى ، خشداش الظاهر برقوق ، تقاسما تدبير الأمور أواخر دولة المماليك البحرية ، ثم اختلفا واقتتلا معاً ، فهُزم بركه وسجن حتى قتل في محبسه سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م (ابن حجر : انباء الغمر بأبناء العمر ، ج١ ص٢٢٢ ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج٣ ص ص٣٥١-٣٥٤) .

الأمير برقوق وبركة يأخذون البراطيل والرشوة علي ولايـــة الوظـــائف التي تسعى فيها الأنذال والأراذل من أوباش الناس ، الذين غير أهلهـــا ، فمن يومئذ تلاشى أحوال الديار المصرية والبلاد والشامية ، حتى قيـــل : برقوق وبركه ضربا على الدنيا شبكة [١]".

ولقد وصل إلى وظيفة "ناظر الدولة" بطريقة البذل كثير من العـــوام والسوقة، ونظراً لأن "ناظر الدولة" يشارك الوزير في عمله ، كـــان هـــو المؤهل لمنصب الوزارة عند خلوه من وزير ، وذلك لخبرته ــ ولو قليلة ــ بتسيير دولاب العمل المالي في الوزارة ، وكان من غير الأكفاء الذين تولوا "نظارة الدولة" ثم "الوزارة" شمس الدين نصر[٢] الله بن النجـــار ، وذلك في صفر سنة ٨٥٩هـــ/١٤٥٤م، وقد عَبرَّ المـــؤرخ ابـــن تغـــرى بردى عن استيائه لهذا الأمر فقال :"فلم ترعيني فيما رأيته ممـــن لـــبس خلَع الوزارة أقبح زيًّاً منه ، حتى إنه أذهب رونق الخلعة مع حـــسن زى خلعة الوزارة وأَبهَّة صفتها[٣]، وقد أدرك ابن تغـــري بـــردى المعاصـــر للأحداث أن "ناظر الدولة" هو المسيطر على الوزارة ولـــيس للـــوزير إلا

---

(١) بدائع الزهور ،ج١ ق٢ ص٢٢٠.

(٢) هو شمس الدين نصر الله القبطي الأسلمي ، ويعرف بابن النجار وهى حرفـــة أبيه، أسلم في أيام المؤيد شيخ وخدم في ديوانه، وارتقي بخدمته ثـــم بخدمـــة غيره من الأمراء ، استقر في نظر الدولة في جمادى الأولي سنة ٨٥٨هـــ، ثم انتقل إلى الوزارة في صفر سنة ٨٥٩هـــ ، وكان من غير الأكفاء فـــي الإدارة الديوانية وتوفى .... (ابن تغرى بـــردي : النجـــوم الزاهـــرة ، ج١٦ ص٨٥؛ حوادث الدهور ، ص٤٣٤ السخاوى : الضوء اللامع ، ج١٠ ص٢٠٠) .

(٣) النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ص٨٥.

الاسم ، فتمنى زوال الوزارة حفاظاً علي عظمة ماضيها، وأن يحل محلها اسم "ناظر الدولة" فقال :"ولو مَنَّ الله سبحانه وتعالى بأن يبطل اسم الوزير من الديار المصرية في هذا الزمان كما أبطل أشياء كثيرة لكان ذلك أجود وأجمل بالدولة، ويصير الذي يلي هذه الوظيفة يسمى "ناظر الدولة[١]".

أيضاً كان من "نُظَّار الدولة" الذين أساءوا إلى منصب الوزارة لعدم كفاءته شمس الدين محمد البباوي (توفي سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، فقد نقل من "نظر الدولة" إلى الوزارة في شهر ربيع الأول سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م ، وكان البباوى أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان زفورى ــ جزاراً ــ ظلوماً غشوماً، وقد علّق ابن إياس على هذا الحدث بقوله : "وهو أول زفورى تولى بمصر ، ومن يومئذ انحط قدر الوزارة جداً ، وتبهدل هذا المنصب إلي الغاية [٢] .

وكانت الخطوة الأخيرة التي أتت علي الوزارة في العصر المملوكي فأفقدتها ما تبقى من صلاحيات ، أن السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢- ١٣٩٨م)استجد ما يعرف "بديوان المفرد" وذلك أنه لما ولى السلطنة في رمضان سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م أفراد إقطاعه لمّا كان أميراً قبل السلطنة ، وجعل له هذا الديوان، كما أنه أضاف الكثير من النواحي المصرية لهذا الديوان من أجل شراء المماليك والانفاق

---

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) بدائع الزهور ،ج٢ ص٤١٥

عليهم [١] ، وأسند رئاسة "ديوان المفرد" إلى الأستادار [٢]، لذلك يقول المقريزي معقباً علي ذلك :"وضعفت الوزارة حتى صار الوزير قصارى نظره التحدُّث في أمر المكوس، فيستخرجها من جهاتها ويصرفها في ثمن اللحم وحوائج المطبخ السلطاني [٣].

ونظراً لأن الظاهر برقوق أضاف الكثير من الجهات في مصر "لديوان المفرد" ، فقد أضعف وارد الوزارة وزاد من قوة الأستادار على حساب الوزير ولهذا يقول المقريزي: "وحقيقة الوزارة اليوم أنها انقسمت بين أربعة ، وهم : كُتَّاب السرَّ ، والأستادار ، ونظر الخاص ، والوزير ... وبقى الوزير شيء يسر جداً [٤] " ،ولما كان هذا هو حال الوزارة من التردي وفقدان الصلاحيات فقد أعرض عنها العلماء منذ أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، يقول ابن خلدون :"ثم جاءت دولة الترك آخراً بمصر فرأوا أن الوزارة قد ابتذلت ... فصارت مرؤوسة ناقصة ، فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر، ج٢ ص ص ٦٦-٦٩؛ د/ أحمد عبد الرازق أحمد : البذل والبرطلة ، ص٧٢

(٢) الاستادار : إليه أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخانه ، والحاشية والغلمان ، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه في بيت السلطان من النفقات والكساوى وغيرها . (ابن العمري : مسالك الأبصار ، ص١١٨؛القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٤ ص ص ٢٠-٢١) .

(٣) الخطط المقريزية ، ج٣ ص ص ٧٢٣-٧٢٤

(٤)الخطط المقريزية ، ج٣ ص ص ٧٢٣-٧٢٤

عن اسم الوزارة [1] أما المؤرخ ابن تغرى بردى فيصف تردى الـوزارة في عصره بقوله :"إن هذا الاسم عظيم ... إلى أن تنازلت ملـوك مـصر في أواخر القرن الثامن حتى وليها في أيامهم أوباش النـاس وأسـافل الكتبة الأقباط ... وصارت بهؤلاء الأصاغر كلا شيء...[2].

ولعل أقوال المؤرخين السابقين تبين مدى تدهور الـوزارة حتـى صارت معدومة الأثر قليلة الأهمية مسلوبة الـصلاحيات ، لـذلك أنـف العلماء وأصحاب الرّتب العالية من المعممين عن شغل هـذا المنـصب، فأتيحت الفرصة لكتّاب الأسالمة والعوام من الناس للوصول إلى منـصب "ناظر الدولة" ثم الوزارة ، فازداد الأمر بهم سوءاً لعجزهم مـن ناحيـة، ولمباشرتهم بقسوة وجبروت إرضاءً للسلاطين وكبار الأمراء في الدولة من ناحية أخرى دون النظر إلى مصلحة الرعية .

---

(١) المقدمة ، ص ٢٢٧

(٢) النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص ص ٨٥-٨٦ .

المبحث الثالث

" ناظر الدولة والوزير في العصر المملوكي "

لم يكن تأخير الوزارة عن نيابة السلطانة وتمزيقها بين أربعة [١] من كبار رجال الدولة في العصر المملوكي هو العامل الوحيد لإضعافها ، بل يضاف إلي ذلك عاملين آخرين ، العامل الأول : أن السلطان قلاوون[٢] الألفي جعل أحد كبار الأمراء بدرجة "مشير[٣] الدولة" لمراقبة أعمال الوزير المالية ومراجعتة : وكان أول من شغل منصب المشير في

---

(١) يقول المقريزي :"وحقيقة الوزارة اليوم ، القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ــ أنها انقسمت بين أربعة ، وهم : كتاب السرِّ ، والأستادار وناظر الخاص... وبقى للوزير شيء يسير جداً ..." (الخطط المقريزية ، ج٣ ص ص ٧٢٣-٧٢٤).

(٢) هو السلطان الملك المنصور قلاوون بن عبد الله التركي الصالحى الألفي ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بألفي دينار ، وكان من أكابر الأمراء عنده ، وقد عظمت منزلته في الدولة المملوكية بعدما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بيبرس بابنته ، ولى سلطنة مصر والشام في رجب سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ، وكانت له فتوحات كثيرة منها : طرابلس في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م ، وكسر التتار والفرنج مراراً ، وعزم على فتح عكا ، لكنه توفى قبل تحقيق ما عزم عليه في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م (الذهبي : الإعلام بوفيات الأعلام ، ص٢٨٨، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ص٣٥٣، ابن حبيب : تذكرة النسبية ، ج١ ص ١٣٥).

(٣) مشير الدولة : كان من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء من مقدمي الألوف ، وتشير دلالة اللقب علي أصالة الرأي والحكمه . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٦ ص٧٠ ، محمد قنديل البقلي : مصطلحات صبح الأعشي ، ص ص ٣١٢-٣١٣).

العصر المملوكي الأمير علم الدين سنجر الشجاعي [1] وذلك في سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م، فازدادت الوزارة ضعفاً ووهناً ، وبمرور الوقت ازدادت سلطة "مشير الدولة" ، فبعدما كان يراجع الوزير ويراقب أعماله ، صار منذ سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م لا يتصرف الوزير في شيء إلا بعد مراجعته ، يقول المقريزي :"وخُلِعَ على الأمير جركس الخليلي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م ــ واستقر مشير الدولة ، ورسم للوزير ألا يتصرف في شيء إلا بعد مراجعته[٢]" ، ويؤكد ابن قاضى شهبه المعنى فيقول : " .... ورسم للوزير .. ألا يتكلم في شيء من الأمور إلا بعد مراجعته [٣] .

أما العمل الثاني في إضعاف الوزارة فهو: قوة شخصية "ناظر الدولة" وضعف شخصية الوزير ، فقد استطاع كثير من نظار الدولة بقوة شخصيتهم توسيع صلاحياتهم على حساب الوزير بأكثر من القدر المسموح به ، ونظراً لأن هذه الدراسة تعنى بدراسة أثر "ناظر الدولة"

---

(١) هو الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، وزير الديار المصرية في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م لكنه أساء السيرة وترفع علي كبار الأمراء فانتهي الأمر بقتله في صفر من نفس العام . (ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٦ ص٨٠ ؛ ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ ١٦٧٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت ــ لبنان ، ج٥ ص٢٣٠).

(٢) السلوك ، ج٣ ق٢ ص٤٥١

(٣) تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن قاضى شهبة الدمشقي المتوفى سنة٨٥١هـ/١٤٤٨م : تاريخ ابن قاضى شهبة ، تحقيق / عدنان درويش ، دمشق ، سنة ١٩٧٧م ، ج٣ ص ٦٣ .

على الوزير ، فسوف تركز على نظَّار الدولة الذين كان لهم أثراً واضحاً على الوزير كنماذج مؤثرة دون التعرض لجميع نظار الدولة [١].

ويأتي في مقدمة "نظّار الدولة" من حيث الترتيب الزمني وقوة الشخصية تاج الدين أحمد [٢] بن سعيد الدولة المصري ، فقد استحدثت وظيفة "ناظر الدولة" في سنة ٧٠٦هـ /١٣٠٦م وكان ابن سعيد أول من شغلها[٣] ، ولما كانت الوزارة مسلوبة الصلاحيات ، فقد رفض ابن سعيد أن يلي الوزارة عندما عرضت عليه في ذات الوقت ، وعندما أُرغم على تولي الوزارة وليها لمدة يوم واحد- وهو يوم الخامس عشر من المحرم سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م ـ ثم استقال واختفي مدة[٤] ولمَّا أسندت الوزارة إلي ضياء الدين[٥] النشائى أُحضر ابن سعيد وعين في

---

(١) سيورد الباحث ملحقاً عاماً بأسماء نظّار الدولة في العصر المملوكي علي حسب الترتيب الزمني لهم في آخر الدراسة .

(٢) هو تاج الدين أحمد بن سعيد الدولة المصري ، عرف بأحمد الكاتب ، وكان مقدماً عند المظفر بيبرس الجاشنكير الأستادار ، وعرف بالأمانة والعف والضبط التام للأمور ، ومن عادته أنه كان لا يرد سائلاً وهو في دسته أما من سأله في الطريق فيأمر بضربه لذلك عظم في النفوس وهابه الناس ، توفى في أوئل رجب سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. (الصفدى : أعيان العصر ، ج٢ ص١٠٢ ؛ ابن حبيب : تذكرة النيبه ، ج٢ص ٢٧، ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج٢ ص٥٠) .

(٣) المقريزي : السلوك ق١ ج٢ ص٢٧ح٤.

(٤) ابن تغرى بردى : النجم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٢٣ .

(٥) هو القاضي ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله النشائي ، كان فقيهاً عالماً بالفرائض ، ولى التدريس بقبة الإمام الشافعي وغيرها ، وكان لين الجانب

وظيفة "ناظر الدولة" في سادس صفر من السنة ، يقول المقريزي :"وكتُب له توقيع لم يكتب لمتعمم مثله ، وصار يجلس بجانب الأمير سلاّر [1] نائب السلطان فوق كل متعمم من الكُتَّاب ، ونفذ حكمه ومضى قلمه في سائر أمور الدولة [2]".

وأمام قوة شخصية ابن سعيد "ناظر الدولة" ضعفت شخصية الوزير النشائي فلم يكن له من الوزارة إلا الاسم والمعلوم ، وفيه يقول النويرى :" فلم يكن له من الوزارة إلا مجرد التسمية والمعلومات ، وما عدا ذلك من الأمر والنهى والاستخدام والعزل فهو لتاج الدين بن سعيد الدولة لا يخرج عن إشارته ورضي بذلك[3]"، وأكد صاحب عقد الجمان سيطرة ابن سعيد "ناظر الدولة" على الوزارة بقولة :"فلما صارت الوزارة إليه ــ أي النشائي ــ كان فيها محكوماً عليه إلا أنه اعتمد لين الجانب وخفض

مشكور السير ، توفي في رمضان سنة ٧١٦هـ /١٣١٦م (الصفدي : أعيان العصر ؛ ج١ ص٧١٩-٧٢٠؛ ابن حجرة : الدرر الكامنة ، ج١ ص٤٧٥) .

(١) هو الأمير سيف الدين سلاَّر بن عبد الله المغولي المنصوري ، أسر في موقعة الأبلستين سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م ، فاشتراه قلاوون الألفي ، ثم تنقلت به الأحوال حتى ولي الأستاداريه في عهد السلطان لاجين (٦٩٦- ٦٩٨هـ /١٢٩٦-١٢٩٨م) ، ثم ولي نيابة السلطنة بمصر للناصر محمد بن قلاوون مدة سلطنته الثانية (٦٩٨-٧٠٨هـ/ ١٢٩٨-١٣٠٨م)، ثم ولى النيابة لبيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ/ ١٣٠٨-١٣٠٩م) توفى في جمادى الأولى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م . (الذهبي : الإعلام بوفيات الأعلام ، ص٢٩٨، ابن تغري بردى : المنهل الصافي ، ج٦ ص ص ٥-٨).

(٢) السلوك ، ق١ ج٢ ص٧٢ .

(٣) نهاية الأرب ، ج٣٢ ص١٢٢.

الجناح ومسالمة الناس ، وكان الأمر والنهي ، والحل والعقد إلي التاج بن سعيد الدولة ، فإنه كان مستبداً بالإشارة والنظر علي الوزارة[١].

ولم يتوقف استبداد ابن سعيد "ناظر الدولة" على السيطرة على الوزير وصلاحيات الوزارة وإنما زادت سيطرته بعدما تسلطن بيبرس[٢] الجاشنكير في سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، وذلك لمكانته عنده ، فقد امتدت سطوته إلي صلاحيات كاتب السِّر شرف الدين عبد الوهاب[٣] بن فضل الله ، فقد شاركه ابن سعيد في الاطلاع علي مكاتبات النواب والرَد عليها ، حتى إن السلطان بيبرس الجاشنكير كان لا يكتب علي شيء ما لم ير خط ابن سعيد علي المكاتبات ، يقول ابن تغري بردي :"فيمضى

---

(١) العيني (بدر الدين محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق د/ محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ج٤ ص٤٢٧.

(٢) هو الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير البرجي ، وكان من مماليك المنصور قلاوون وترقي في الخدمة حتى ولى السلطنة سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ، مات مقتولاً بيد الناصر محمد بن قلاوون في ذي القعدة سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م (ابن كثير البداية والنهاية ، ج١٤ص٦٠ ؛ ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ج٣ ص٤٦٧).

(٣) هو القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى ؛ ولد في ذي الحجة سنة ٦٢٣هـ، وكان كاتباً حسن الألفاظ والمقاصد ، ولى كتابة السرِ بمصر والشام ، متعه الله ــ تعالي ــ بحواسه حتى وفاته يوم الثلاثاء ثاني رمضان سنة ٧١٧هـ ١٣١٧م. (الصفدي : أعيان العصر ،ج٣ ص١٩١ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ص٤٢٨).

منها ما يختاره ، ويكتب عليه "عُرِض" فإذا رأي المظفر خطَه عَلَـم وإلا فلا [١]".

ولقد دام ابن سعيد في استبداده مدة ، حتى شق الأمـر علـي ابـن فضل الله كاتب السرِ ، فرفع شكواه إلي السلطان بيبرس ، بأنه لا يَكتـب توقيع في الدولة براتب لأحد أو استخدام في وظيفة حتى يكتـب عليهـا ابن سعيد "ناظر الدولة"، هذا بالإضافة إلي مطالعته علي مكاتبات النواب والرَّد عليها ، ولكن يبدو أن السلطان بيبرس لمكانة ابن سعيد عنده لـم يمنعه من التدخل في شئون كاتب السِّر ، مما جعل الأخيـر يلجـأ إلـي الأمير سلاَّر " نائب السلطنة" وأطلعه علي استبداد ابـن سـعيد "نـاظر الدولة" وخوفه فساد الدولة بسب ذلك ، فنهض سلاَّر بمساعدة ابن فضل الله ، ومازال بالسلطان حتى منع التاج ابن سعيد من الإطلاع علي شيء من أمر ديوان الإنشاء[٢] .

ورغم سيطرة ابن سعيد "ناظر الدولة" على كثير من جوانب العمـل الإداري في الدولة لمكانته عند السلطان بيبرس ، إلا أنه وصف بالأمانة والعفة والضبط التام للأمور ، وكانت حرمته أوفر من حرمـة الـوزير، ومهابته في النفوس أعظم ، ودام علي ذلك حتى وفاته في رجـب سـنة

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج٨ ص٢٨٠ .

(٢) الصفدي : أعيان العصر ، ج٢ ص١٠٢؛ ابن حبيـب : تـذكرة النبيـه ، ج٢ ص٢٧ ؛ المقريزي : السلوك ، ق١ ج٢ ص٤٧ ،ص٥٣ .

٧٠٩هـ/١٣٠٩م[١] وعندما توفي ابن سعيد الدولة خلفه علي وظيفة "ناظر الدولة" ابن أخته كريم الدين عبد الكريم [٢] بن هبة الله بن السديدالمصري ، وقد استطاع ابن هبة الله أن يتمكن من السلطان الناصر محمد قلاوون حتى صار بيده الحل والعقد في الدولة[٣] ونظراً لقوة شخصية عبد الكريم بن هبة الله وتمكنه من الإدارة تكبَّر على كبار الأمراء ، ولم يستطيعوا البطش به لحسن إدارته في تسيير دولاب العمل في الدولة ، يقول عنه المقريزي :"وتكبَّر علي الأمراء واستقرت به الأحوال ، حتى كتب علي ما يعرف ومالا يعرف[٤] .

---

(١)الصفدي : أعيان العصر ، ج٢ ص١٠٢؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ص٦٢ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ص٥ .

(٢) هو القاضى كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري ، أبو الفضائل كريم الدين الكبير أسلم كهلاً في سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩هـ ١٣٠٩م وكان كاتبه ، فلما عاد الناصر محمد بن قلاوون للسلطنة في ذي القعدة سنة ٧٠٩هـ ١٣٠٩م صادره ، ثم شفع فيه الأمير طغاي حتى عفا عنه السلطان واستخدمه ، ونال ثقة السلطان ومحبته حتى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م فقد تغير عليه السلطان في التاريخ السابق فعزله من وظائفه ونفاه إلي القدس ثم إلي أسوان أخيراً ، فأصبح مشنوقاً بعمامته في ربيع الآخر سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م.(الصفدي : أعيان العصر ، ج٣ ص١٤٢؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ص٦٢ ؛ ابن حجر: الدرر الكامنه ، ج٣ ص١٥).

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ، ج١٤ ص٦٢ ،ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٦ ص٦٣.

(٤) السلوك ، ج٢ ق١ ص٦١ .

وقد بلغ ابن هبة الله غاية التمكن في الدولة عندما أضيفت إليه وظيفة "ناظر الدولة" في جمادى الأولى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م ، فقد جمع السلطان الناصر محمد القضاة وفوض إليه وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة بحضورهم "فانفرد كريم الدين الكبير بالتمكن من السلطان ، وصارت الأمور كلها منوطه به ... وأشهد علي السلطان أنه ولاه جميع ما ولاه الله تعالى ، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان[١] .

ويتضح من نص المقريزي السابق أن عبد الكريم بن هبة الله وصل إلي مكانة عليا في الدولة ، بحيث فوضه السلطان في أموره الخاصة وفي أمور السلطنة وكاتبه الملوك كما كاتبوا السلطان ، بل إن شخصية ابن هبة الله قد طغت علي السلطان نفسه أحياناً ، فيذكر الصفدي أن السلطان كان إذ أراد أن ينزل عقوبة بأحد ويرى القاضي ابن هبة الله أقبل يقول :"جاء القاضي وما يدعنا نعمل شيئاً مما نريده[٢]" لذا تعتبر شخصية ابن هبة الله من الشخصيات الكبيرة التي أثرت في شتى نواحي الحياة الإدارية في الدولة عهد الناصر محمد بن قلاوون حتى أطلق عليه عظيم دولته [٣].

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج٢ ق١ ص٩٣، ١٠٣، ١٢٤-١٢٥.

(٢) أعيان العصر ، ج٣ ص١٤٦

(٣) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ج٩ ص٧٥.

وفي سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م شغل وظيفة "ناظر الدولة" كريم الدين[١] أكرم الصغير، ولقد تضافرت عوامل عدة علي أن يكون كريم الدين الصغير شخصية ذات تأثير كبير في الدولة المملوكية منها العامل الأول : قوة شخصيته ، فقد كان "شرس الأخلاق مع عصبية ومكارم[٢] " ، وإذا كان في مجلسه " قعد كريم الدين الصغير ووقف الناس وأهابوه وعظموه [٣]" ، حتى إن السلطان الناصر محمد عندما طلب منه الأمراء العودة إلى السلطنة في سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨م رفض المُلْك قائلاً : " أنا أعود إلى مكان يكون فيه أكرم الصغير يضرب الجند بالعصى وأشفع فيهم ما يقبل شفاعتي ؟![٤] " وفي هذا دليل على قوة شخصيته حتى إن الملك الناصر رفض السلطنة بسببه ، أما العامل الثاني : فهو إلغاء الوزارة في سنة ٧١٣ هـ/ ١٣١٣م ، مما جعله يتصرف كما لو كان

---

(١) هو كريم الدين أكرم بن خطيرة القبطي ، كريم الدين الصغير ، تسمى لما أسلم عبد الكريم ، وهو ابن أخت القاضي كريم الدين الكبير ، كان يحب الكاتب الأمين ويزيد في معلومه ، وينقله إلى وظيفة أكبر من التي يباشرها ، وكان الكثير من الأمراء يزدحمون في المشي في موكبه لتمكنه في الدولة ، كما كان ظلوما غشوما قاسيا على الرعية ، توفي غرقا بالنيل أواخر سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م . (ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٤٠٠ – ٤٠٢ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٣ ، ص٣٣).

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٤٠١ .

(٣) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٣ ، ص٣٣.

(٤) الصفدي : أعيان العصر ، ج١ ، ص٥٨٢.

وزيراً ، لذلك عُين شريكا لتقي الدين أسعد[١] بن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي ، حتى يتمكن الأخير من كسر حدته ، فقد كان كريم الدين الصغير " ظالماً غشوماً[٢]".

وفي كثير من الأحيان كان كريم الدين الصغير يريد المبالغة في الظلم والمصادرات للرعية فيمنعه كريم الدين الكبير "ناظر الخاص"، وعندما توفي أسعد بن أمين الملك شريكه في نظر الدولة ـ في سنة ٧١٦هـ /١٣١٦م عُيِّن خلفاً له أمين الدين عبد الله[٣] بن الغَنّام شريكا لكريم الدين في نظر الدولة ، لكنه نظراً لقوة طبع كريم الدين لم يدم إلا قليلاً ، فقد عزل في أوائل سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م باسحاق[٤] بن عيد

---

(١) هو تقي الدين أسعد بن أمين الملك الأحول المعروف بكاتب برلغي ، أسلم على يد برلغي واستقر في نظر الدولة في ذي القعدة سنة ٧١١ هـ / ١٣١١م ، وكثر تمكنه عندما أبطل الناصر محمد الوزارة سنة ٧١٣ هـ/ ١٣١٣م ، توفي في شهر رمضان سنة ٧١٦ هـ/ ١٣١٥م .(المقريزي : المقفى الكبير ، ج٢ ص٧٦ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ص٣٥٩).

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٤٠١ .

(٣)هو الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام الأسلمى ، اشتغل بالكتابة في الدور السلطانية من صغره، وأشهر إسلامه في شهر رجب سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م وحسن إسلامه ، ونسخ بيده عدة مصاحف كريمة ، توفي في جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. (الصفدى : أعيان العصر ، ج٢ ص ص ٦٥٨-٦٦١؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ص ٣٥٧؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ،ج٧ ،ص٨٣) .

(٤)هو تاج الدين عبد الوهاب "اسحاق" بن عبد الكريم بن القماط ، تسمَّى لما أسلم بعبد الوهاب ، وخدم في الدواوين ، فباشر في الاستيفاء ونظر الدولة وغيرها ،

الكريم بن القماط ، لكنه لم يدم كثير أيضاً كسابقه ، فانفرد كريم الدين بوظيفة "ناظر الدولة" منذ أوائل سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م وحتى سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م ، ومن خلال ذلك يمكن تصور الملامح العامة لإدارة كريم الدين الصغير فقد كان قوى الطباع شرس الأخلاق لذلك لم يستمر أحد من كبار الكُتَّاب معه في النِّظارة إلا بضعة أشهر ، كما أنه كان قاسياً علي الرعية مرهقاً لهم بجمع الأموال رغم وقوف خاله ــ كريم الدين الكبير ــ في وجهه ومنعه من الظلم ، لكنه في ذات الوقت أظهر عفته عن مال السلطان وتشدد علي من يخون ، لذلك استغنى الناصر محمد عن الوزارة طوال ولاية كريم الدين الصغير "ناظر الدولة" وبعده ، فقد وجد الناصر محمد أنه لا فائدة من الوزارة أكثر مما يقدمه كريم الدين "ناظر الدولة" .. ، ولعل هذا يوضع أثر "ناظر الدولة" سلباً على الوزارة ،وأنها أصبحت غير مرغوب في وجودها ولو اسماً أو حتى مسلوبة الصلاحيات [1] .

وكان من مظاهر بطش كريم الدين الصغير بالرعية ، أنه ابتكر طريقة لضرب الرعية من أجل استخراج الأموال ، وعرفت هذه الطريقة

وتمكن في أيام كريم الدين الكبير ، وكان وافر العقل كتير البرو المعروف توفى في جمادى الأخرة سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م (المقريزي : المقفى الكبير ، ج٤ ص٤٥٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ، ج٢ ص٤٣٣).

(١) المقريزي : السلوك ، ق١ ج٢ ص١٨١؛ ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج٣ ص٣٤ .

باسم "الضرب المقترح"[١] ، لكن الرعية لم تصمت علي ظلمه طـويلاً ، فقد خرج العوام في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م وأحدثوا فتنه كبيرة بـسبب ظلم "كُتاَّب الأسالمة" فانبسطت ألسنة الأمراء في كريم الـدين الـصغير نظراً لكراهتهم له ، فانتهى الأمر بعزله من "نظـر الدولـة" فـي سـنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م وصودرت أمواله[٢] ولقد سُرت العامة بالقبض علـي كريم الدين وعزله ودعوا للسلطان ، وكادوا أن يقتلوا كريم الدين لظلمه لهم وقسوته عليهم ، لولا أن السلطان قال لهم : "إذا قُتل هذا ممن آخـذ أنا مالي ؟ أصبروا إلي أن نأخذ مالنا منه وتسلموه أنتم[٣]"، وأمام غضب الرعية لم يلبث كريم الدين في مصر بعد عزله إلا قليلاً ، فقـد أخرجـه السلطان إلي الشام "ناظراً" فباشر عمله مدة يسيرة ثم طلب إلي مـصر، ويبدو أن السلطان عزم علي إعادته لعمله مرة أخري لتمكنه من الإدارة

---

(١) كانت طريقته أنه يضرب الناس وهم وقوف علي أكتافهم ، فإذا مـالوا للأمـام ضربهم علي صدورهم .(ابن تغري بردى : المنهل الصافي ، ج٣ ص٣٤.

(٢) ابن أيبك (أبو بكـر بـن عبـد الله بـن أيبـك الـدوادرى المتـوفي سـنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) : الدر الفاخر في سير الملك الناصـر ، تحقيـق / هـانس روبرت رويمر ، اصدار قسم الدراسات الاسلاميه بالمعهد الألمـانى للآثـار ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ج٩ ص٣١٢؛ ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر الشهير بـابن الـوردى المتوفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلميـة ـ بيروت ـ لبنان ، سـنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ج٢ ص٢٦٥، المقريـزي : الـسلوك ، ق١ ج٢ ص ١٢٤، ١٦٦، ١٨١، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٧١.

(٣) الصفدى : أعيان العصر ، ج١ ص٥٨٣.

، لكن أعداء كريم الدين أوغروا صدر السلطان عليه حتى أخرجه منفياً إلي أسوان ، فأغرق في النيل أثناء سفره في أواخر سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م [١].

ويلاحظ أنه رغم إبطال الوزارة في عهد الناصر محمد بن قلاوون منذ سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م وحتى بعد وفاته سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، إلا أن لفظ "وزير" لم يتلاشى من المصادر أو من بين الوظائف الديوانية طوال مدة إبطال الوزارة ، ويدلل علي هذا أقوال المؤرخين المعاصرين واللاحقين علي تلك الحقبه ، يقول ابن حبيب :"وفيها ـ أي سنة ٧٢٣هـ ـ قُبض علي الوزير كريم الدين أبي الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد المصري ، وكيل السلطان وناظر الخاص، والمتكلم في الدولة بالديار المصرية [٢]".

وذكر النويري أنه في سنة ٧٢٤هـ /١٣٢٣م عُزل من الوزارة أمين الدين عبد الله بن تاج الرئاسة وتقلدها الأمير [٣] مغلطاى

---

(١)الصفدى : أعيان العصر ، ج١ ص٥٨٣-٥٨٤؛ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ج٩ ص٧٢.

(٢) تذكرة النبيه ، ج٢ ص١٣٣.

(٣) هو الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، أحد أعيان مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، تقلَّد العديد من الوظائف في الدولة الناصرية مثل : الوزارة ، الاستادارية ، وتقدمة المماليك السلطانية ، توفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١. (ابن حجر: الدرر الكامنة ، ج٥ ص١٢٤؛ ابن تغرى بردي : الدليل الشافي علي المنهل الصافي ، تحقيق / فهيم محمد علوي ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٨، ج٢ ص٧٣٨).

الجمالي[1] ، كما ذكر ابن حجر أنه في سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، أي قبل وفاة الناصر محمد بعام ، استحضر ابن تاج الرئاسة من الشام ليقلِّد وزارته بالديار المصرية [2] ، إذا فما المقصود بالوزير في تلك الحقبة التي أبطلت فيها الوزارة ؟ .

لعل المراد بالوزير في تلك الحقبة أي ما تبقى للوزير من صلاحيات ، فكما ذكر في المبحث الثاني من هذه الدراسة ، أن مهام الوزارة انقسمت بين أربعة من موظفي الدولة وهم : ناظر الخاص ، والأستادار ، وكاتب السرِّ ، ولم يبق للوزير إلا التحدث في المكوس وحاجات المطبخ السلطاني ، ومن ثم فإن مصطلح الوزير إذا ذكر في تلك الحقبة ــ التي أبطلت فيها الوزارة ــ يكون معناه ما تبقي للوزير من صلاحيات بعد هؤلاء الثلاثة ، ويؤكد هذا المؤرخ الصفدي معلقاً على استدعاء أمين الدين ابن تاج الرئاسة من الشام ليتولي الوزارة بمصر في سنة ٧٢٢هـ فيقول :"أخبرني الصاحب أمين الدين قال : لو علمت أنه بقي في الدنيا وظيفة يقال لها نظر الخاص ما خرجت من القدس ، قلت: لِمَ ذاك يا مولانا الصاحب؟ قال : لأن ناظر الخاص يدخل إلي السلطان بكرة النهار فيتحدث معه بكل ما يريد ... ويدخل بعده ناظر الجيش ، فيتحدث معه في اقطاعات الأمراء والجند بالديار المصرية والشامية ، ويدخل كاتب السّر فيقرأ البريد عليه وفيه من الولاية والعزل ... وأدخل أنا ــ

---

(١) نهاية الأرب ، ج٣٣ ص ص ٥٨-٥٩.

(٢) الدرر الكامنة ، ج٢ ص ص ٣٥٧-٣٥٨.

الوزير ــ بعد ذلك ، فيقول : أخرج أحمل لناظر الخاص كذا وكذا فأنا فلاح لذلك المولى ، وليس لى مع السلطان حديث ... فعلمت صحة ما قاله [١] .

وهذا يؤكد أن مهام الوزير كانت موزعة علي بعض موظفي الدواوين ، لاسيما "ناظر الخاص" بحكم قربه من السلطان وكونه أول من يدخل عليه، ولعل ابن حبيب أصاب عندما نعت كريم الدين الكبير "بالوزير" نظراً لقيامه بأعماله ، ثم ذكره بوظيفته الفعلية في الديوان آخراً فقال :" وفيها ــ أي سنة ٧٢٣هـ– قُبض على الوزير كريم الدين ... وكيل السلطان وناظر الخاص ... [٢] .

وكان من مظاهر التأثير السلبي "لنظارة الدولة" علي الوزارة عصر المماليك ، وجود صلة نسب تربط بين "الناظر" و"الوزير" ، ففي النماذج السابقة كان "لناظر الدولة" الكلمة العليا بينما الوزير مسلوب الصلاحيات ، لكن هذا النموذج جاء علي العكس تماماً، فقد أصبح "ناظر الدولة" سلبياً بحيث إنه ترك للوزير التصرف في جميع الأموال وظلم الرعية دون التدخل لأجل الصلة التى تربطهما ، ففي شهر المحرم سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م استقر في وظيفة "ناظر الدولة" كريم الدين [٣] عبد

---

(١) أعيان العصر ، ج٢ ص٦٦

(٢) تذكره النبيه ، ج٢ ص١٣٣

(٣) هو كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس القبطي ، توقي في الخدم الديوانية إلي أن كتب بديوان الأمير يلبغا الناصري ، فلما قتل الأشرف شعبان بن حسين قام بنومكانس بمرافعة الوزير شمس الدين عبد الله

الكريم بن مكانس ، وقد وصفة المقريزي فقال :" وكان من عجائب المخلوقات خفة عقل وطيش وسرعة حركة وكثرة تقلُّب [1]" لذلك عزل من النِّظارة ونقل إلي الوزارة في صفر من السنة ، وأسندت وظيفة "ناظر الدولة" لأخية فخر الدين[2] عبد الرحمن بن مكانس، الذي كان علي العكس من أخيه فقد "كان ماهراً في الكتابة عارفاً بصناعة الحساب أعجوبة في الذكاء [3].

ولكن نظراً للصلة التي تربطه بأخيه كريم الدين وافقه علي ظلم الرعية بسلبيته ولم يقف في وجهه ، يقول المقريزي :"وفي شهر شوال سنة ٧٨٠هـ قُبضي علي الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس ،

المقسى ، فقبض عليه ، وتولي كريم الدين "ناظر الخاص" ، ثم تقلّد نظر الدوله ثم الوزارة سنة ٧٨٠هـ، ولم يزل في أحوال متقلبة بين الولاية والعزل والمصادرة والعقوبة حتى توفى يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. (المقريزي :درر العقود الفريدة، ج٢ ص٣١٧ ؛ ابن حجر: انباء الغمر ، ج٢ ص١٦٩؛ ابن تغري بردي :المنهل الصافي ، ج٧ص٣٣٧).

(١) درر العقود الفريدة ، ج٢ ص٣٢٠.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم مكانس القبطي فخر الدين ، ولد في سلخ ذي الحجة سنة ٧٤٥هـ وكان أبوه من الكُتَّاب في الدواوين فنشأ في ذلك ، وكان ذكياً اشتغل بالأدب فأخذ عن القيراطى وغيره ، وكان قوى الذهن حسن الذوق حاد النادرة ، ولى نظر الدولة وغيرها من الوظائف بمصر والشام ، وله الشعر الفائق والنظم الرائق ، توفى في ذي الحجة سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م. (ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٢ ص ٤٣٨؛ انباء الغمر ، ج١ ص٤٤٣ ؛ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج٧ ص١٧٣) .

(٣) ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ص٤٤٤.

وعلي أخيه فخر الدين ، وعُذِّبا عذاباً شديداً ... وكان ابنى مكانس كريم الدين هو وأخوه فخر الدين قد أحدثا عدة مظالم قبيحة .. [١]" .

وتتلخص هذه المظالم فى أمور منها : أن الأمير يبلغا [٢] العمري كان قد أبطل "المكس" من مكة ، وعوض الشريف أمير مكة عن ذلك مائة وسبعين ألف درهم تحمل إليه في كل سنة فجمع الوزير كريم الدين هذا المال من موظفي الدواوين بالدولة ، مما أثار غضبهم وتذمرهم ، ومنها : أن الوزير كريم الدين عَطَّل العمل بقيسارية[٣] الأمير جهاركس بالقاهرة ، بحجة أن التجار لديهم ثياباً بغير أختام ، فتعطل البيع والشراء ثمانية أيام ، ولم يسمح لهم بالبيع والشراء إلا بعدما حملوا إليه مالاً ، مما كبدهم خسائر بالغة أواخر شهر رمضان سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م [٤]

---

(١) السلوك ، ج٣ ق١ ص٣٤٣.

(٢) هو الأمير سيف الدين يبلغا بن عبد الله العمري الناصري ، أستاذ الملك الظاهر برقوق ، اشتراه الناصر حسن وأعتقه وجعله من خواصه ، ثم ترقي في الإمرة حتى صار من كبار الأمراء في الدولة الناصرية ، وكان يبلغا كريماً شجاعاً مقداماً ، توفي شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م. (ابن حجر: الدرر الكامنة ،ج٢ ص٤٤٠؛ ابن تغري بردى : المنهل الصافي ، ج١٢ ص١٥٧).

(٣) القيسارية : هي الخان الكبير الذي يستخدمه التجار في البيع والشراء ، وابتنى هذه القيسارية الأمير فخر الدين جهاركس في سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م. (المقريزي : الخطط ج٢ ص٨٧؛ محمد أحمد دهان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٢٦).

(٤) المقريزي : السلوك ،ج٣ ق١ ص٣٤٣؛ ابن شاهين (زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري الحنفي المتوفى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م): نيل الأمل

ومنها : أنه كان يخرج إلي بركة الحاج في شهر شوال عند تكامل وصول الحاج إليها استعداداً للسفر لمكة المكرمة ، ويلزم الجميع بإحضار أوراق مشترى جمالهم ، ومن لم يحضر ورقة مباشرى سوق الجمال نكَّل به وغرمه مالاً مما أضر بكثير من الحجاج ورجع أكثرهم دون حج في عامهم ذلك [1].

ورغم عدم كفاءة كريم الدين للوظائف الديوانية بدليل فشله في الوزارة سابقاً إلا أنه كان باستطاعته هو وغيره الوصول إلي الوظائف العليا بطريق البذل والبرطلة ، لذلك عُين كريم الدين في وظيفة "ناظر الدولة" في جمادى الأولى سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وبدلاً من الاستفادة من فشله في الوزارة ويعمل من أجل الرعية ، انصرف إلي اللهو وشرب الخمور مع أقرانه ، ففي شهر ربيع الأول سنة ٧٨٩هـ /١٣٨٧م نظر السلطان برقوق من قلعة الجبل فوجد خيمة قد ضُربت علي شاطئ النيل ، فأرسل من كشف له الأمر ، فوجد بها "ناظر الدولة" كريم الدين ابن مكانس يتعاطي الخمر مع خواصه ، فأمر السلطان بضربه وألزمه بدفع مائة ألف درهم ، ثم لم يلبث أن عزله في رمضان من نفس العام ، وهذا يبرهن على أن من وصل إلي وظيفة بطريق البذل لم تكن همته النجاح في عمله بقدرما ينصرف إلي جمع أكبر قدر من الأموال التي تعوِّضه

في ذيل الدول ، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ، ق٢ ج١ ص١٤٦ .

(١) ابن حجر : انباء الغمر ، ج١ ص١٧٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج١ ق٢ ص٢٣٤ .

عما بذله من أجل الوصول إليها، لذلك كان الفشل حليفهم، وغضب السلطان والرعية عليهم أمراً محتوماً [1].

وعلى الرغم من أن صلة النسب كانت سبباً في فشل ابني مكانس في وظيفة النِّظارة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م وكذلك للمرة الثانية سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، إلا أنهما لم يستفيدا من تلك التجربة ، فعندما عُيّن فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس "ناظراً للدولة" في جمادي الأولي سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م ، استدعى مباشري الجهات ، وأعاد جميع المكوس التي سبق وأن أبطلها الظاهر برقوق سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م ، فأُخذت من الناس علي العادة وزيادة ، وتضامن مع فخر الدين عبد الحمن في إعادة تلك المكوس أخيه كريم الدين الذي عُيِّن "مشيراً للدولة" في أوائل سنة ٧٩١هـ ١٣٨٨م ، وقد تسبب هذا في تزمّر العامة وأصحاب الدواوين مما أدي إلي القبض علي كريم الدين "مشير الدولة" وضُرب وأهين حتى بذل الأموال التي خلَّصته من العقوبه ، أما فخر الدين عبد الرحمن "ناظر الدولة" فقد اختفي مدة ثم ظهر في شعبان سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م والتزم بدفع مبلغ من المال حتى ينجوا من العقوبة ويستمر علي وظيفته ، لكن هذه الأموال لم تكن إلا بمثابة تسكيناً لغضب كبار الأمراء ، أو إنقاذاً له من العقوبة ، لذلك لم يستمر فخر الدين عبد الرحمن في وظيفة "نظر الدولة" كثيراً ، فقد عزل في العشرين من ربيع

---

(١) المقريزي : السلوك ، ق٢ ج٣ ص٥٤٤ ، ص٥٦٥، ص٦٤٨، ابن حجر : انباء الغمر ج١ ص٣٥١، ص٣٣٢.

الأول سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م وضُرب وأُهين ، وانتهي الأمر بإخراجه إلي الشام وزيراً بدمشق في ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م، فلم يمكث بها سوى بضعة أشهر ، فقد عزل في رمضان من نفس العام وطلب إلي مصر ليتقلَّد وزارتها ، فأُسقى سُمّاً في الطريق ودخل القاهرة ميتاً في ذي الحجة سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م[١]

وفي جماد الأولي سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م شغل وظيفة "ناظر الدولة" أمين الدين إبراهيم[٢] بن الهيصم ، وكان ابن الهيصم قد نشأ في الرياسة

---

(١) المقريزي : السلوك ، ق٢ ج٣ص ٥٧٨،٥٨٢،٦٢٣،٦٢٤،٦٤٨،٧٠٩،٧١٠ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،ج١١ ص٣٢٠،٣٧٧،٣٧٩ ؛ ج١٢ ص ١٣١،١٦٥ ؛ الصيرفي (علي بن داود الصيرفي المتوفى سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ؛ تحقيق د/ حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٠م، ج١ ص١٧١،٢١٧،٢٢٧،٢٤١ .

(٢) هو الصاحب أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم ، ولد أوائل القرن التاسع تخميناً بالقاهرة ، وقد اعتنى به أبوه منذ صغره ، ومن بعده عمه تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم فبرع في الحساب ، وكتب الخط المنسوب ، وباشر في عدة جهات ديوانية حتى نقل إلي نظر الدولة مرتين ثم الوزارة مراراً ، وكان أصلح الموجودين من ابناء جنسه الأقباط وأخفهم ظلماً ، توفى ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م. (ابن تغرى بردي : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تحقيق أ/فهيم محمد شلتوت ، طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ سنة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م ، ج١ ص٤٧٧؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج٣ ص٣٠٥-٣٠٦؛ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج١ ص ص ٦٧-٦٨) .

تحت كنف والده، فنبغ في الحساب وأتقن الخط ، وباشر في عدة جهات مما أكسبه خبرة في الإدارة الديوانية ، ولذلك عندما استقر في وظيفة "نظر الدولة" في التاريخ السابق ، مكث فيها لفترتين طويلتين مقارنه بأقرانه في تلك الفترة شديدة الاضطرابات السياسية ، والمصادرة والعزل لموظفي الدواوين ، لكن إبراهيم بن الهيصم نظراً لبراعته في فن الإدارة المالية ظل يشغل وظيفة "ناظر الدولة" أكثر من عشرين سنة ، كانت نِظَارته الأولى : من جمادى الأولى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م وحتى شعبان سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م ، وأما الثانية : فكانت من شوال سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م وحتى جمادى الآخر سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م [١].

وقد أثبت إبراهيم بن الهيصم جدارته في مباشرة "نظارة الدولة" حتى إنه عندما عُزل في المرة الأولي سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م لم يكن ذلك لتقصيره في عمله ، وإنما نقل للوزارة ، لكنه لم يمكث في الوزارة إلا شهراً واختفي لكونها مسلوبة الصلاحيات ، وكثيراً ما تنال أيدي المعاقبة من يتولاها ، ومما يدل علي مهارة ابن الهيصم أن منصب الوزارة قد شغر في شوال سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م وحتى ربيع الأول سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ، فأُلزم ابن الهيصم بتكفية حاجات الدولة في تلك

---

(١) المقريزي : السلوك ، ق٢ ج٤ ص٨٩١، ٩١٣، ٩٧٦ ؛ ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج ص٤٧٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص٩٧ ،ص١٥٥ .

الفترة ، وقد نجح ابن الهيصم في إدارة تلك الفتـــرة[١] ، وقـــام بأعبـــاء وظيفتي "الوزارة"،"نظر الدولة"، يقول المقريزي :"فتمشت الأحوال حتـــى ولى الوزارة كريم الدين بن كاتب المناخ"[٢] ورغم أن ابن الهيصم كـــان حسن الإدارة إلا أنه كان لا يرغب في تولى الوزارة إلا في أضيق الأمور ولوقت قصير فكان إذا عرضت عليه الوزارة أظهر العجـــز واســـتعفي ، وإذا لم يعف هرب واختفي حتى يشغل الوزارة غيـــره، بينمـــا إذا عُـــين لوظيفة "ناظر الدولة" يلتزم بتكفية حاجات الدولة ، وهذا يبـــرهن علـــي علو منزلة "النِّظارة" في الواقع علي "الوزارة" وإن كانت الأخيرة أرفـــع منها رتبة ، ولعل خير شاهد علي ذلك تمـــسك ابـــن الهيـــصم "بنظـــارة الدولة" لفترات طويلة ، وفراره من الوزارة مراراً [٣]، وفي ذي الحجـــة سنة ٨٦٧هـــ/١٤٦٢م شغل وظيفة "ناظر الدولة" شمس الدين محمد [٤]

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، ج١ ص٦٧؛ ابن الحمصي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشهير بابن الحمصي المتوفى سنة ٩٣٤هـــ/١٥٢٧م): حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ، تحقيق د/عمر عبد السلام تدمرى ، المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ، الطبعة الأولي ســـنة ١٤١٩هـــــ/١٩٩٩م، ج١ ص١١٨.

(٢) السلوك ، ق٢ ج٤ ص٩٧٦

(٣) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ج١ ص٤٧٧-٤٧٨؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ، ج٣ ص ص ٣٠٥-٣٠٦ ؛ ج٤ ص١٣٨.

(٤) هو المعلم شمس الدين محمد البباوي ، أصله من ببا الكبري بالوجه القبلـــي ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، عمل ببلدته خفيراً وقيل راعياً ، ثم قدم القـــاهرة وصار بخدمة بعض الطباخين ، ثم صبياً عند أحد تجار اللحوم حتى صار مـــن كبار التجار ، وصار مُعَوَّل الوزراء عليه في حمل اللحـــم المرتـــب للمماليـــك

البباوي ، وكان شمس الدين البباوى يعمل طباخاً ثم صار صبياً عند بعض تجار اللحوم ، وما زال ينتقل في هذه الصناعات حتى أثرى وجمع من الأموال الكثير ، وصار يركب بغلاً بعدما كان يركب حماراً ، فلما سمع السلطان الظاهر [1] خشقدم بسعة ماله احتال علي أخذه منه بأن ولاهَّ وظيفة "ناظر الدولة" وفي هذا إشارة إلي مساهمة بعض سلاطين المماليك في تولية الوظائف العليا لبعض من لا يستحقونها ، فقد كانت الأموال تسيل لعابهم ، ذكر ابن تغري بردي أن السلطان خشقدم "كان من الخِسَّة والطمع في محل كبير" [2] وبعدما ولى البباوي "نظر الدولة" لبس العمامة ، وترياًّ بزى الكُتَّاب وتسمى بالقاضي بعدما كان يطلق عليه

السلطانية ، وكان يميل إلي الفقراء والصالحين ولا يقبل شفاعة الأمراء ، توفي في ذي الحجة سنة ٨٦٩ هـ/١٤٦٤م. (ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٦ص ٣٤٠، البقاعي (إبراهيم بن عمر المتوفى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م): اظهار العصر لأسرار أهل العصر "تاريخ البقاعي" تحقيق د/ محمد سالم العوفي ، حقوق الطبع محفوظة للمحقق ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ج٣ ص١١١-١١٢)

(١) هو السلطان الظاهر خشقدم الرومي الناصر ، صار من المماليك السلطانية أول أمره ثم أمير عشرة وصار من رؤوس النواب ، ثم مقدماً بدمشق ، ثم عاد إلي القاهرة علي الحجوبية الكبري ببذل في سنة ٨٥٤هـ، ثم بويع بالسلطنة في رمضان سنة ٨٦٥هـ ، ولقب بالظاهر ، ولم يزل يتودد إلي الأمراء والرعية حتى نالته السعادة في الملك وكثرت مماليكه ، وهابته ملوك الأقطار ، توفى في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٦ ص٣٥٦؛ السخاوي : الضوء اللامع ص١٧٥).

(٢) النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص٣٤٠.

"المَعَلِّم" ، ولعل هذا النموذج يدل علي انحطاط شأن وظيفة "ناظر الدولة" في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، فبعد أن كان يتولاها كبار الكُتَّاب في الدولة أوائل القرن الثامن الهجري ، صارت إلي هذا الحد من التدهور بسبب عدم كفاءة متوليها وفي هذا يقول ابن تغري بردي عن ولاية البباوي لنظر الدولة:"فشق ذلك علي الناس قاطبة ، وعَدّوا ذلك من قبائح الظاهر خشقدم ، لأن البباوي هذا مع انحطاط قدره وجهله ووضاعته وسفالة أصله، مع عدم معرفته بالكتابة والقراءة ... ومع هذا كله كان غير لائق في زيه ، فباشر نظر الدولة مدة يسيره ..."[1]، فقد نقله السلطان خشقدم من "نظر الدولة" إلي "الوزارة" في ربيع الأول سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م[2] وكانت هذه الخطوة من أسوأ ما فعله السلطان خشقدم، فقد كان من الآثار السيئة أن وظيفة "ناظر الدولة" إحدى درجات السلم الوظيفي للوزارة دون النظر إلي كون صاحبها يصلح للمنصب من عدمه ، وقد تأسف ابن تغري بردي علي وصول هذا العامي إلي الوزارة فقال:"وصار وزير الديار المصرية فلم نعلم بأقبح حادثة وقعت في الديار المصرية قديماً وحديثاً من ولاية البباوى هذا للوزر ، لأنه كان أحد العوام الأوباش الأطراف السوقة ، ووثب علي هذه الوظيفة التي هي أجل وظائف الدنيا بعد الخلافة ... [3]،

---

(١)النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص ص ٣٤٠-٣٤١.

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١٠ ص١٨ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص٤١٠.

(٣) النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص٣٤١.

ورغم هذه الصفات السيئة للبباوى إلا إنه بمجرد أن ولي الوزارة سكن في بيت الوزراء ، ودقت الطبول علي بابه ، وهابه جميع الناس من المباشرين وغيرهم [١].

ولعل ما جعل الناس يهابون البباوي رغم أنه من العامة ، أنه باشر الوزارة بقسوة وجبروت ، ولم يتحول عن عاميته ، بل لزم طريقته في الفحش بالكلام، وقاسى رؤساء الدواوين منه خطوباً وشدة ، وبالغ في الظلم والاستخفاف بالناس ، وأكثر من المصادرات حتى إنه أحضر الناس الذين صالحوا الوزراء قبله وأخذوا بذلك أوراقاً ، وأخذ منهم الأموال عن عشرين سنة ــ ماضية ــ بطريق غير شرعي ،"وتكلَّم بكلام لا يجوز شرعاً ولا عرفاً ولا عادة ولا مادة ولا طبعاً ولا مروءة .. [٢] وبالجملة لم يثن أحد من المؤرخين علي مباشراته في الدواوين ، وإنما باشر بظلم وسوء أدب مع أعيان الدولة ، وساءت سيرته ، فكثر الدعاء عليه من الناس فقد كان "من مساوئ الزمان"[٣] توفى غريقاً في النيل في ذي الحجة سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م [٤].

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص٤١٦.

(٢) ابن الصيرفي : انباء الهصر ، ص٣٨.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع ، ج١٠ ص٨٣ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص٣٤١؛ البقاعي : تاريخ البقاعى ، ج٣ ص ص ١١١-١١٢؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص٤٣٢.

وتعتبر ولاية قاسم[1] شغيته لمنصب "الوزارة" في جمـــادي الآخـــرة سنة ٨٧٠هـــ/ ١٤٦٥م ، ثم "نظارة الدولـــة" فـــي ربيـــع الأول ســـنة ٨٧٣هـــ/١٤٦٨م ، يُعد ذلك استمراراً لحالة التدهور لهاتين الـــوظيفتين الكبيرتين ، وقد عبر عن ذلك غير واحد من المؤرخين ، يقول ابن تغري بردي :"وأنا استغفر الله من لفظة وقعت منى في ترجمته ــ أي الببـــاوي السابق ذكره ــ فإنى قلت في آخر ترجمته : ماولي الوزارة فـــي الـــدنيا أحد أخس من البباوي هذا ، ولا يليها أيضاً أحد أقبح منـــه إلـــي يـــوم القيامة ، فوليها بعده شخص من غلمانه يقال له قاسم جغيته ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [2]"، ويقول ابن إياس :"فازدادت الـــوزارة بهدله ثانية بولاية قاسم هذا [3]".

---

(١) هو قاسم بن أحمد بن القرافي ثم القاهرى ، كان أبوه طحاناً ، فولد له قاسم في سنة ٨٣٣هـــ/ ١٤٢٩م، ونشأ في مهنة أبيه ثم عمل خبازاً بببـــاب القرافـــة ، وعرف بجفيته والأكثر يقولون شغيته لأنه كان يستجدى من الطباخين قـــائلاً : ياعم جغيته ، ثم خدم شمس الدين محمد البباوي لما كـــان طباخـــاً بالقلعـــة ، فاستقر به صيرفياً عنده ، فلما ترقي مخدومه للوزارة قرر عند السلطان كفائته ، فلما غرق البباوى في سنة ٨٦٩هـــ قرره مكانه في الوزارة دفعة واحدة ، ثم نظر الدولة مراراً ، وكان سئ المباشرة ، قاسياً علي الرعية ، لاقي خطوباً من العقوبات حتى توفى في جماد الأولي سنة ٩٠٠هـــ / ١٤٩٤م (الـــصيرفي : إنباء الهصر ، ص٢٠، ص٢٣ ص٢٤؛ السخاوى : الضوء اللامـــع ، ج٦ ص ص ١٧٩-١٨٠) .

(٢) النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص ص ٣٤١-٣٤٢.

(٣) بدائع الزهور ، ج٢ ص٤٣٦.

وفيما يتعلق بولاية قاسم شغيته "نظر الدولة" فإنه كان يعمل خبازاً ولم يسبق له أي نوع من الرياسة أو العمل الديواني ، لذلك عندما استقر في نظارة الدولة سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م أساء المباشرة ، وفتح باب المظالم وتمكن من التأثير علي الأمير يشبك الدوادار الوزير، فقد أوعز إليه بقطع بعض مرتبات الفقهاء والمعممين وما يصرف للأيتام والنساء وغيرهم ، وزعم أن ذلك يوفر الكثير للخزانة السلطانية ، فوافقه الوزير علي ذلك ، بل إني قاسم شغيته هَمَّ أن يأخذ منهم ما أكلوه في الماضي لكنه لم يتمكن من ذلك (١).

ولم يتوقف ظلم "ناظر الدولة" للرعية ، فقد كان يصرف للناس الأردب ــ من القمح أو غيره ــ أثنين وعشرين ربعاً ــ ويقبضه منهم خمساً وعشرين ربعاً ، وزعم أن الفرق يوفَّر للديوان (٢)، ورغم ما قام به قاسم شغيته "ناظر الدولة" من الظلم والعسف بالرعية ، وعوقب علي ذلك بالضرب تارة ، وبحمل الأموال أخري ، إلا أنه تمكن من شغل وظيفة "ناظر الدولة" مراراً ، كانت الثانية في جمادى الأولى سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م وحتى رمضان سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م ، ثم كانت الثالثة في شوال سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م إلي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤، وكانت ولايته الأخيرة لنظارة الدولة في ربيع الآخر سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م إلي شوال سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م، وهذا يدل علي

---

(١) الصيرفي : إبناء الهصر ، ص ٢٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ص ص ٢٢-٢٣

(٢) الصيرفي : إبناء الهصر ، ص٢١٤

التدهور الشديد الذي أصاب الحياة الإدارية في مصر أواخر عصر المماليك ، فلم تكن الكفاءة والأمانة هي المعيار ، وإنما البذل والبرطلة وجمع أكبر قدر من أموال الرعية لصالح الطبقة الحاكمة هو مقياس الوصل إلي الوظائف العليا وطول البقاء فيها [١]، وكان شرف الدين[٢] الصغير آخر من شغل وظيفة "ناظر الدولة" في العصر المملوكي ــ حسبما ذكرت المصادر المتاحة ــ ونظراً لأن الباحث لم يعثر علي ترجمة لشرف الدين ــ في المصادر التي طلع عليها ــ فإنه من الصعب التكهن بمعلومات علي سماته الشخصية أو العلمية، ولكن من خلال مطالعة المصادر يمكن القول بأنه من الناحية الإدارية كان يسير علي نهج من سبقوه في "نظارة الدولة" ، فقد دأب علي جمع أكبر قدر من أموال الرعية ظلماً ، ومما يبرهن علي ذلك أنه عوقب مراراً ، وهرب واختفي أحياناً أخرى ، فمنذ أن شغل شرف الدين الصغير وظيفة "ناظر الدولة" في جماد الآخر سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م فقد حرص علي عرض ميزانية الدولة ــ من اللحوم والسكر والدقيق وغيرها ــ التي جمعها من الرعية في شهر رمضان من كل عام ــ حسبما جرت العادة ــ لكن عُمَّال "ديوان النظر" ضجوا بالشكوى من ظلم شرف الدين في شوال سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م فقد رفعوا شكواهم للسلطان بأن "ناظر الدولة" يأخذ

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ، ج٦ ص١٨٠ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ص٥٦، ص١٦٥، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٤٩، ٣٠٧.

(٢) لم يتمكن الباحث من العثور علي ترجمة لشرف الدين الصغير في المصادر التي اطلع عليها .

الغلال من الرعية بالكيل الكبير ويصرفه بالكيل الصغير ، فقرر السلطان عقوبته مالياً بدفع خمسة الآف دينار للخزانة الشريفة ، لكن هذه العقوبة يبدو أنها كانت شكلية من أجل إسكات صرخات عُمَّال الديوان ضد شرف الدين، ويبرهن علي ذلك أن السلطان أسند لشرف الدين الصغير وظيفة "كاتب المماليك" اضافة لوظيفة "ناظر الدولة" في سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م ، يقول ابن إياس :"فتضاعفت عظمت شرف الدين الصغير وصار ناظر الدولة كاتب المماليك مستوفياً[١] علي الدواوين وغيرها[٢]"، لكن عظمة شرف الدين "ناظر الدولة" لم تستمر طويلاً ، فقد حدثت أزمة في اللحوم سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م ، ولم يتمكن شرف الدين من القيام بمخصصات المماليك الغذائية فثاروا عليه وكادوا أن يقتلوه لولا أنه هرب واختفي مدة ثم ظهر بأمان السلطان وعاد إلي وظيفته ، ولعل اقرار شرف الدين في وظيفته هذه المرة كان بمثابة الفرصة الأخيرة له ، فعندما تعثَّر شرف الدين في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م ولم يتمكن من الوفاء للمماليك بمخصصاتهم من اللحوم والمرتبات ، اختفي عن الأنظار خشية علي

---

(١) المستوفي : من كبار كُتّاب الأموال بالدواوين ، وعمله يكمن في ضبط الديوان التابع له ، والتنبيه علي ما فيه مصلحته من استخراج الأموال ونحوها ، وسمى لأهميته باسم "قطب الديوان"، لأنه يضبط سير الأعمال اليومية بالديوان ويراقب الموظفين ، ويلاحظ أن هؤلاء المستوفون كانوا يهيمنون علي عامة الدواوين . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ص٣٠؛ج٥ ص٤٦٦؛ محمد قنديل البقلي مصطلحات صبح الأعشى ، ص ص ٣١٠-٣١١).

(٢) بدائع الزهور ، ج٤ ص١١٨؛ وانظر : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤ ص٦٠، ١٠٣، ١٠٥؛ ١٢٥؛ ابن الحمصى : حوادث الزمان ج١ ص٢٧٩.

حياته، ولم يظهر إلا بعدما أَمَّنه السلطان في جمادى الأولى سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م، لكنه لم يَعُدْ إلي وظيفته وأقام في بيته "بطالاً" [١] ورغم فشل شرف الدين في عمله ، وتزمّر عُمَّال الديوان والمماليك من سياسته ، إلا أنه سعى للوصول إلي وظيفة "ناظر الدولة" مرة أخرى عن طريق البذل والبرطلة، فدفع ثمانية الآف أردب من الشعير حتى عاد إلي وظيفته في ربيع الأول سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، ومما يدل علي تأثير "النِّظارة" علي الوزارة في تلك الفترة أن السلطان سمح لشرف الدين الصغير بالتحدُّث في ثلث الوزارة اضافة "لنظر الدولة"، فعظمت منزلته ، وشارك الوزير في ثلث ما تبقي له من صلاحيات ، ودام شرف الدين في "نظر الدولة" حتى شهر رمضان سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٢].

---

(١) البطّال : هو العاطل عن العمل في دواوين الدولة ، نتيجة غضب السلطان ، أو الاضطرار إلي الاختفاء لمجرد الانزواء . (محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص٣٥).

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٤ ص٢٣٥، ٢٥٩، ٣٢٠ ،٣٧٠، ٤٦٧، ٤٧٤ ؛ ابن الحمصي : حوادث الزمان ، ، ج٢ ص٢٧٩، الغزي (نجم الدين محمد بن محمد الغزى المتوفى سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق د/ جبرائيل سليمان جَبور ، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، ج١ ص١٢٠ .

الخاتمة

وبعد : فإن انتقال النظام المالي من النقدي في الدولة الأيوبية إلي النظام الإقطاعي في عصر المماليك ، قد أدي بدوره إلي اضعاف أهمية بيت المال ، ولم يمض علي قيام دولة المماليك سوى نصف قرن حتى دعت الحاجة إلي انشاء ديوان جديد في أوائل القرن الثامن الهجري ــ الرابع عشر الميلادي ــ ليختص بالنظر في جمع فروع الإدارة المالية في الدولة من إيرادات ومصروفات ، وقد أُطلق علي هذا الديوان اسم "ديوان النظر" وكان يتولي رئاسة هذا الديوان كبار الموظفين من المعممين الذين يتمتعون بالخبرة في الإدارة المالية ، وبمرور الوقت غدا "ديوان النظر" من أهم الدواوين في الدولة ، مما أكسب صاحبه أهمية كبيرة جعلته يطغي في كثير من الأوقات علي سلطة الوزير رغم تقدّم الوزارة في الرتبة علي النِّظارة ، وقد توصلت الدراسة إلي بعض النتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً : نظراً لأهمية "ديوان النظر" في العصر المملوكي ، أُطلق علي صاحبه العديد من المسميات التي تدل علي أهميته واشرافه العام علي الدواوين الكبرى في الدولة ، ومن هذه المسميات "ناظر الدواوين ، وناظر النظار ، وناظر الدولة ... وغيرها.

ثانياً : أنه منذ إنشاء "ديوان النظر" أوائل القرن الثامن الهجري فقد شارك صاحبه الوزير في ربع صلاحياته ، فقد قُسِّمت مهام الوزارة بين أربعة من كبار رجال الدولة كان منهم "ناظر الدولة" وقد زادت هذه

الصلاحيات للناظر مع بداية القرن العاشر الهجري ليتحدث في ثلث الوزارة .

ثالثاً : لقد تمتع بعض مَنْ ولي وظيفة "ناظر الدولة" بشخصية قوية ، مما هيأ لهم فرصة توسيع نفوذهم علي حساب الوزير بأكثر من القدر المسموح به ، فامتدت أيديهم إلي الولاية والعزل والتحدث في سائر أمور الدولة ، مما أدي إلي تقليص صلاحيات الوزير .

رابعاً : كانت وظيفة "ناظر الدولة" إحدى درجات السلم الوظيفي لمنصب الوزارة ، ففي كثير من الأوقات كان يتولي الوزارة لخبرته بالإدارة المالية ومشاركته للوزير في كل ما يكتب فيه تبعاً له .

خامساً : لم يتوقف التأثير السلبي "لناظر الدولة" علي الوزارة عند حد تقليص صلاحيات الوزير ، وإنما وصل بعض العوام إلي "النِّظارة" بطريق البذل والبرطلة ثم إلي دست الوزارة مما أفقدها ما تبقي لها من عظمة في النفوس .

سادساً : أنه علي الرغم من ضعف قدر وظيفة "ناظر الدولة" منذ منتصف القرن التاسع الهجري لوصول الكثير من العوام إليها بطريق البرطلة ، إلا أن المؤرخ ابن تغري بردي المعاصر للأحداث تمنى إلغاء الوزارة آنذاك نظراً لسيطرة "ناظر الدولة" علي كثير من جوانبها فقال :"ولو مَنَّ الله سبحانه وتعالي بأن يبطل اسم الوزير من الديار المصرية في هذا الزمان كما أبطل أشياء كثيرة لكان ذلك أجود وأجمل بالدولة ،

ويصير الذي يلي هذه الوظيفة يسمي ناظر الدولة[1]"، فقد تمنى ابن تغري زوال الوزارة حفاظاً علي عظمة ماضيها ، ولأن "ناظر الدولة" قد سيطر علي كثير من صلاحيات الوزير .

{ والله من وراء القصد }

(١) النجوم الزاهرة ، ج١٦ ص٨٥.

ملحق رقم (١)

يوضح ترتيب نظّار الدولة في العصر المملوكي

م	اسم ناظر الدولة	تاريخ توليه الوظيفة	تاريخ العزل	بعض المصادر
	تاج الدين أحمد بن سعيد الكاتب (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)	٧٠٦هـ/١٣٠٦م	٧٠٩هـ/١٣٠٩م	النويري : نهاية الأرب ، ج٣٢ ص١٢٢؛ الصفدي : أعيان العصر ، ج٣ ص١٤٢؛ ابن أيبك الدواداري: الدر الفاخر ص٣١٢، ص٣١٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج١ ص١٩٣؛ ابن شاهين : نيل الأمل ق١ ج١ ص٣٢٦، ص٤١٦.
	كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري (ت٧٢٤هـ/١٣٢٣م)	٧٠٩هـ/١٣٠٩م	٧١٠هـ/١٣١٠م	
	أبو بكر بن عبد العظيم الرقاقي (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)	٧١٠هـ/١٣١٠م	٧١٠هـ/١٣١٠م	
	تاج الدين عبد الرحمن الطويل ت٧١١هـ/١٣١١م)	٧١١هـ/١٣١١م	٧١١هـ/١٣١١م	
	تقي الدين أسعد بن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي (ت٧١٦هـ/١٣١٦م)	(١) ٧١١هـ/١٣١١م (٢)٧١٣هـ/١٣١٣م	٧١٢هـ/١٣١٢م ٧١٦هـ/١٣١٦م	
	أمين الدين عبد الله بن الغنام (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)	٧١٢هـ/١٣١٢م ٧١٦هـ/١٣١٦م	٧١٣هـ/١٣١٣م ٧١٧هـ/١٣١٧م	
	كريم الدين أكرم بن خطيرة الصغير (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	
	اسحاق بن عبد الكريم بن القماط (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م)	٧١٧هـ/١٣١٧م	٧١٧هـ/١٣١٧م	
	إبراهيم بن زنبور	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م	
	موفق الدين عبد الله "هبة الله" بن إبراهيم الأسلمي (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م)	(١)٧٢٣هـ/١٣٢٣م (٢)٧٤٢هـ/١٣٤١م (٣)٧٤٧هـ/١٣٤٦م	٧٢٣هـ/١٣٢٣م ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ٧٥٣هـ/١٣٥٢م	
	جمال الكفاه إبراهيم القاضي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	٧٤٥هـ/١٣٤٤م	
	شمس الدين عبد الله بن الصنيعة غبريال (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م)	٧٢٤هـ/١٣٢٣م	٧٢٦هـ/١٣٢٥م	
	فخر الدين ماجد بن قرونة (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)	٧٢٩هـ/١٣٢٨م ٧٥٥هـ/١٣٥٤م	٧٢٩هـ/١٣٢٨م ٧٥٥هـ/١٣٥٤م	

م	اسم ناظر الدولة	تاريخ توليه الوظيفة	تاريخ العزل	بعض المصادر
	علم الدين إبراهيم بن التاج اسحاق "عبد الوهاب"	٧٢٩هـ/١٣٢٨م	٧٣١هـ/١٣٣٠م	المقريزي : السلوك ق٢ ج٢ ص٣١٠ ، ص٤٦٨ ، ج٢ ق٣ ص٦٩٤، ص٨٧٩، ٧٠١؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ق٢ ص٣٧، ص١١٤، ص١٥٤ ؛ ابن شاهين : نيل الأمل ، ق١ ج١ ص٥٩.
	تقي الدين عمر بن محمد بن السلعوس (ت٧٣١هـ/١٣٣٠م) شريكاً لعلم الدين	٧٢٩هـ/١٣٢٨م	٧٣١هـ/١٣٣٠م	
	علم الدين إبراهيم بن فخر الدولة	٧٣٨هـ/١٣٣٧م	٧٣٨هـ/١٣٣٧م	
	تاج الدين أحمد بن عبد الله بن الغنام	٧٣٩هـ/١٣٣٨م	٧٤١هـ/١٣٤٠م	
	علم الدين بن سهلوك (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)	٧٤٥هـ/١٣٤٤م	٧٤٥هـ/١٣٤٤م	
	سليمان بن مراجل (ت٧٦٥هـ/١٣٦٣م).	٧٤٦هـ/١٣٤٥م	٧٤٧هـ/١٣٤٦م	
	علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبورّ (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م)	٧٤٧هـ/١٣٤٦م	٧٤٧هـ/١٣٤٦م	
	فخر الدين بن عبد الله الملقب بابن السعيد (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م)	٧٥٣هـ/١٣٥٢م	٧٥٥هـ/١٣٥٤م	
	ابن الزبير (ت٧٥٨هـ/١٣٥٧)	٧٥٦هـ/١٣٥٥م	٧٥٨هـ/١٣٥٧م	
	كريم الدين بن الرويهب (ت٧٨٤هـ/١٣٨٢م)	الأولى٧٧٤هـ/١٣٧٢م الثانية٧٧٨هـ/١٣٧٦م	٧٧٥هـ/١٣٧٣م ٧٧٩هـ/١٣٧٧م	
	أمين الدين عبد الله بن الريشة (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)	الأولى٧٧٦هـ/١٣٧٤م الثانية٧٨١هـ/١٣٧٩م الثالثه٧٨٩هـ/١٣٨٧م	٧٧٧هـ/١٣٧٥م ٧٧٣هـ/١٣٨١م ٧٩٠هـ/١٣٨٨م	
	أمين الدين مين شريكا لابن الريشة	٧٧٧هـ/١٣٧٥م	٧٧٧هـ/١٣٧٥م	
	تاج الدين عبد الوهاب النشو (ت٧٨٢هـ/١٣٨٠م)	٧٧٩هـ/١٣٧٧م	٧٧٩هـ/١٣٧٧م	المقريزي : السلوك ، ق٢ ج٣ ص٧١٠ ، ص٨٦٠، ص٨٧٢؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٣
	كريم الدين عبد الكريم بن مكانس (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)	الأولى٧٨٠هـ/١٣٧٨م الثانية٧٨٨هـ/١٣٨٦م	٧٨٠هـ/١٣٧٨م ٧٨٩هـ/١٣٨٧م	
	علم الدين يحيي بن طباهجة (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م)	٧٨٠هـ/١٣٧٨م	٧٨٣هـ/١٣٨١م	
	فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)	الأولى٧٨٠هـ/١٣٧٨م الثانية٧٩٠هـ/١٣٨٨م	٧٨٠هـ/١٣٧٨م ٧٩٢هـ/١٣٨٩م	

م	اسم ناظر الدولة	تاريخ توليه الوظيفة	تاريخ العزل	بعض المصادر
	علم الدين يحيي بن فخر الدولة كاتب بن الدينارى (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م)	٧٨٣هـ/١٣٨١م	٧٨٨هـ/١٣٨٦م	
	علم الدين عبد الوهاب سن ابره شريكاً لأبي الفرج المقسي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)	٧٩٢هـ/١٣٨٩م	٧٩٤هـ/١٣٩١م	
	تاج الدين بن شمخل	٧٩٤هـ/١٣٩١م	٧٩٤هـ/١٣٩١م	
	بدر الدين محمد بن الأقفهسي (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)	٧٩٤هـ/١٣٩١م	٧٩٤هـ/١٣٩١م	
	سعد الدين نصر الله بن البقرى (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)	٧٩٥هـ/١٣٩٢م	٧٩٨هـ/١٣٩٥م	
	بدر الدين محمد بن محمد الطوخي (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)	٧٩٨هـ/١٣٩٥م	٧٩٩هـ/١٣٩٦م	
	سعد الدين بن الهيصم	٧٩٩هـ/١٣٩٦م	٧٩٩هـ/١٣٩٦م	
	شمس الدين عبد الله بن الهيصم	٨٠٠هـ/١٣٩٧م	٨٠٠هـ/١٣٩٧م	
	زين الدين عبد الرحمن بن الكويز	٨٠١هـ/١٣٩٨م	٨٠١هـ/١٣٩٨م	
	سعد الدين إبراهيم بن البشيري	٨١٢هـ/١٤٠٩م	٨١٢هـ/١٤٠٩م	
	تاج الدين فضل الله بن الرملي (ت٨٢٦هـ/١٤٢٢م)	٨١٢هـ/١٤٠٩م	٨٢٦هـ/١٤٢٢م	البقاعي : اظهار العصر ، ق١ ص٢٤٧؛ الصيرفي : نزهة النفوس ، ج٣ ص٣٠٥؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ص٦٧؛ ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٢ ص٣٢٣، ج٣ ص٣٤٦، ج٤ ص٣
	علم الدين يحيي أبوكم (ت٨٣٥هـ١٤٣١م)	٨١٨هـ/١٤١٥م	٨١٨هـ/١٤١٥م	
	يوسف بن عبد الكريم بن بركة المعروف بكاتب جكم (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)	٨٢٧هـ/١٤٢٣م	٨٢٨هـ/١٤٢٤م	
	أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم (ت٨٥٩هـ/١٤٥٤م)	الأولى٨٢٨هـ/١٤٢٤م الثانية٨٣٩هـ/١٤٣٥م الثالثه٨٤٠هـ/١٤٣٦م	٨٣٧هـ/١٤٣٣م ٨٤٠هـ/١٤٣٦م ٨٥١هـ/١٤٤٧م	
	شمس الدين بن سعد الدين بن قطارة	٨٣٨هـ/١٤٣٤م	٨٣٩هـ/١٤٣٥م	
	زين الدين فرج بن النحَّال	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	

م	اسم ناظر الدولة	تاريخ توليه الوظيفة	تاريخ العزل	بعض المصادر
	(ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م)			
	الشيخ الخطير(ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م)	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	
	حمزة بن البشيرى (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	
	ابن كاتب الشعير.	٨٥٨هـ/١٤٥٤م	٨٥٨هـ/١٤٥٤م	
	شمس الدين نصر الله بن النجار الأسلمي .	٨٥٨هـ/١٤٥٤م	٨٥٩هـ/١٤٥٤م	
	أبو الفضل بن كاتب السعدي	٨٥٩هـ/١٤٥٤م	٨٥٩هـ/١٤٥٤م	
	إبراهيم بن فخر الدين المعروف بالسكر والليمون (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)	٨٦٠هـ/١٤٥٥م	٨٦٢هـ/١٤٥٧م	
	منصور الصفي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)	٨٦٢هـ/١٤٥٧م	٨٦٧هـ/١٤٦٢م	
	شمس الدين محمد البباوى (ت٨٦٩هـ/١٤٦٤م)	٨٦٧هـ/١٤٦٢م	٨٦٩هـ/١٤٦٤م	
	عبد القادر الطويل .	الأولى٨٧٢هـ/١٤٦٧م الثانية٨٩٧هـ/١٤٩١م	٨٧٢هـ/١٤٦٧م ٨٩٧هـ/١٤٩١م	
	شمس الدين محمد بن محمد الأهناسي	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	
	قاسم شغيته (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)	الأولى٨٧٣هـ/١٤٦٨م الثانية٨٧٩هـ/١٤٧٤م الثالثة٨٨٧هـ/١٤٨٢م الرابعة٨٩٣هـ/١٤٨٧م	٨٧٥هـ/١٤٧٠م ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ٨٨٩هـ/١٤٨٤م ٨٩٧هـ/١٤٩١م	
	موفق الدين بن القمص الأسلمى .	الأولى٨٨٧هـ/١٤٨٢م الثانية٨٩١هـ/١٤٨٦م	٨٨٧هـ/١٤٨٢م ٨٩٢هـ/١٤٨٦م	
	شرف الدين بن البقري	٨٩١هـ/١٤٨٦م	٨٩١هـ/١٤٨٦م	
	شرف الدين يحي بن البدر حسن (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)	٨٩٢هـ/١٤٨٦م	٨٩٣هـ/١٤٨٧م	
	مجد الدين بن كراويه .	٩٠٨هـ/١٥٠٢م	٩٠٩هـ/١٥٠٣م	
	شرف الدين الصغير	٩٠٩هـ/١٥٠٣م	٩٢٢هـ/١٥١٦م	

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

- ابن إياس : (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)

١- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق / محمد مصطفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٤ أجزاء .

- ابن أيبك : (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري المتوفى سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

٢- الدُر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق / هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة ـ سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠، الجزء التاسع .

- بامخرمه :(أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)

٣- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق / عبد الرحمن محمد جيلان نشر وزارة الثقافة والسياحة ـ صنعاء ـ سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، الجزء الثاني .

- البقاعي : إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)

٤- اظهار العصر لأسرار أهل العصر "تاريخ البقاعى" ، تحقيق د/ محمد سالم بن شديد العوفى ، حقوق الطبع محفوظة للمحقق ، الطبعة الأولي سنة ١٤١٢-١٤١٤هـ/١٩٩٢-١٩٩٣م ، ثلاثة أقسام .

- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٥- حوادث الدهور في مدي الأيام والشهور ، تحقيق أ/ فهيم محمد شلتوت، طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ــ القاهرة ــ سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، الجزء الأول .

٦- الدليل الشافعي علي المنهل الصافي ، تحقيق / فهيم محمد علوي ، دار الكتاب المصرية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٨م ، جزآن .

٧- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق د/ محمد محمد أمين وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠، ١٢جزء.

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ــ سنة ٢٠٠٨م، ١٦ جزء.

- الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهيشاري المتوفى سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م).

٩- الوزراء والكُتَّاب ، تحقيق / مصطفي السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، تقديم د/عطية أحمد القوصى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة ــ سنة ٢٠٠٤م.

- ابن حبيب : (الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

١٠- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق د/ محمد محمد أمين ، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، طبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ــ سنة ١٩٧٦م ، ٣ أجزاء .

- ابن حجر: (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

١١- إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق د/ حسن حبشي ، طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ــ القاهرة ــ سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٤ أجزاء .

١٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق / محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ، ٥أجزاء .

- ابن الحمصى : (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشهير بابن الحمصى المتوفى سنة ٩٣٤هـ/١٥٢٧م) .

١٣- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران ، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ، الطبعة الأولي سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م،ج١ .

- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

١٤- مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم د/محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- ابن خلكان : (شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

١٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ الطبعة الأولي سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م. ٤أجزاء .

* الذهبي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٦- الإعلام بوفيات الأعلام ، تحقيق / رياض عبد الحميد مراد ، عبد الجبار زكار ، مطبعة دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ الطبعة الأولي سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٩١م.

١٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق د/ بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الأولي سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ، ١٥ جزء .

١٨- سير أعلام النبلاء ، تحقيق د/ بشار عواد معروف ، د/ محيى هلال السرجانى ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة السابعة سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الجزء الحادي والعشرون .

- ابن السبكي : (تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م).

١٩- معيد النعم ومبيد النقم ، قدم له وشرحه وأعد فهارسه د/ صلاح الدين الهوارى ، المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت .

- السخاوي: (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .

٢٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ــ بيروت ــ الطبعة الأولي سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ١٢ جزء.

- ابن شاكر : (محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٢١- فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ــ بيروت ــ لبنان ، بدون ، ٤ أجزاء .

• أبو شامه : (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المتوفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) .

٢٢- الذيل علي الروضتين ، عنى بشره / السيد عزت العطار ، دار الجيل ــ بيروت بدون .

* ابن شاهين : (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري المتوفى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م).

٢٣- نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ــ صيدا ــ لبنان ، الطبعة الأولي سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، القسم الثاني ، الجزء الأول .

• الصفدي : (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٢٤- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق د/ علي أبو زيد ، نبيل أبو عمشة ، د/محمد موعد ، د/ محمود سالم ، قدم له / مازن عبد القادر المبارك ، دار الفكر ــ دمشق ــ الطبعة الأولي سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٥أجزاء .

• الصيرفي : (علي بن داود الجوهري الصيرفي المتوفى سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)

٢٥- إبناء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق وتقديم د/ حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ سنة ٢٠٠٢م.

٢٦- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق د/ حسن حبشي ، مطبعة دار الكتاب المصرية ــ القاهري ــ سنة ١٩٧٠ــ١٩٧٣م، ثلاثة أجزاء .

- ابن العماد : (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

٢٧- شذرات الذهبي في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان ، ٦ أجزاء.

- ابن العمري : (شهاب الدين أحمد ابن يحيي بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٢٨- التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ــ مصر ــ سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

٢٩- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "دولة المماليك الأولي" دراسة وتحقيق/ دورتياكرا فولكسى ، المركز الإسلامي للبحوث ــ بيروت الطبعة الأولي سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- العينى : (بدر الدين محمود العينى المتوفى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

٣٠- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق د/ محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، الجزء الرابع .

- الفراهيدى : (الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م).

٣١- كتاب العين ، تحقيق د/عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولي سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م . "مادة: سلم ، نظر" .

- ابن قاضي شهبة : (تقي الدين أبوبكر بن أحمد بن قاضي شهبة المتوفي سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م).

٣٢- تاريخ ابن قاضي شهبه ، تحقيق / عدنان درويش ، دمشق سنة ١٩٧٧م ، الجزء الثالث .

- القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م).

٣٣- صبح الأعشي في صناعة الإنشا، قدم له د/ فوزي محمد أمين، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ـ سنة ٢٠٠٤م ١٤جزء .

- ابن كثير: (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٣٤- البداية والنهاية ، تحقيق د/أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، المجلد السابع .

- المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م).

٣٥- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق د/ محمد الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ ط .ت ، بدون ، المجلد الثاني .

٣٦- السلوك لمعرفة دول الملوك ، قام بنشره د/ محمد مصطفي زيادة د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، سنوات الطبع ١٩٥٧م ، ١٩٥٨م، ١٩٧٠م، ١٩٧٣م، ثلاثة أقسام .

٣٧- المقفي الكبير ، تحقيق / محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الأولي سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٧ أجزاء .

٣٨- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار "المعروف بالخطط المقريزية" حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه الدكتور / أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ــ لندن ــ سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ثلاثة أجزاء

- ابن المقفع : (ساويرس بن المقفع المتوفى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م)

٣٩- تاريخ مصر "من خلال مخطوطة تاريخ البطارية" ، تحقيق / عبد العزيز جمال الدين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ سنة ٢٠١٢ ، الجزء الخامس.

- ابن مماتي (الأسعد بن المهذب أبي مليح المتوفى سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

٤٠- كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق / عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولى ــ القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١.

- منظور : (جمال الدين محمد بن مكرم المصري المتوفى سنة ٧١١هـ/١٣١١م)

٤١- لسان العرب ، طبعة دار المعارف ــ القاهرة ــ ط. ت بدون .

- النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).

٤٢- نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ٣٣ جزء .

- ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم المتوفى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م).

٤٣- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق د/ جمال الدين الشيال ، د/حسنين محمد ربيع ، راجعه د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار القلم القاهرة ، الجزء الثالث .

- ابن الوردي : (زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

٤٤- تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ــ بيــروت ــ لبنـــان ، سنة ١٤١٧هـــ/١٩٩٦م، الجزء الثاني .

ثانياً : المراجع

- أحمد عبد الرازق أحمد (دكتور) :

٤٥- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك "دراسة عــن الرشــوة" الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٩م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور (كتور) :

٤٦- العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية الطبعة الأولي سنة ١٩٦٥م.

- علي إبراهيم حسن (دكتور) :

٤٧- دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمــد بوجه خاص ، مكتبة النهضة المصرية ، سنة ١٩٤٤م.

- محمد أحمد دهمان :

٤٨- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملــوكي ، دار الفكــر ــ دمشق الطبعة الأولي سنة ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م .

- محمد قنديل البقلي :

٤٩- مصطلحات صبح الأعشى ، طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ القاهرة ــ سنة ٢٠٠٤م.

- مصطفي عبد الكريم الخطيب :

٥٠- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولي سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

ثالثاُ : الرسالة العلمية

٥١- حسن أحمد عبد الجليل البطاوي: المعمونى ودورهم في مصر عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في كلية العلوم ــ قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ــ جامعة القاهرة سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، وتوجد بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة تحت رقم ٦٨٣١.